# الموسيقى العربية



# ن لشباب المشرق والمغرب

فوزى عبد القادر الميلادى

Bibliotheca Alexandrina
0100601
1006001

كتاب الشباب

الهيئة المصرية العامة للكتاب

# من أدب المشرق والمغرب

بقلم المستشار:

فوزى عبد القادر الميلادى

# مهرجان القراءة للجميع ٩٨

## مكتبة الأسرة

## برعاية السيدة سوزان مبارك

## (كتاب الشباب)

من أدب المشرق والمغرب

فوزى عبدالقادر الميلادى

الغلاف

الإشراف الفنى:

للفنان محمود الهندى

المشرف العام

د. سمير سرحان

الجهات المشاركة:

جمعية الرعاية المتكاملة المركزية

وزارة الثقافة

وزارة الإعلام

وزارة التعليم

وزارة التنمية الريفية

المجلس الأعلى للشباب والرياضة

التنفيذ: هيئة الكتاب

# مصـــر

# محمود تيمور والمسرحية القصيرة

بسم الله الرحمن الرحيم

# محمود تيمور والمسرحية القصيرة

اللغة الفصحى هى اللغة المناسبة للطبع والنشر ... واللغة العامية هى اللغة التى تلائم الأداء المسرحى والاذاعى ... الخ . تلك هى فلسفة محمود تيمور فى مشكلة اللغة فى العمل المسرحى فالعرب على حد قوله أهل لغتين لغة كتابة وتدوين والأخرى لغة حديث وخطاب أما الأولى فيشترك فيها العرب على تباين مواطنهم من قديم وحديث وأما الأخرى فتختلف فيها اللهجات بين موطن وموطن وبين عصر وعصر .

من أجل ذلك حرص الأديب الكبير على أن ينشر جل مسرحياته وعلى الأخص الاجتماعية منها بلغتين فى وقت واحد فيضم الكتاب نسخة من المسرحية بالفصحى وأخرى بالعامية .

وعلى هذا الدرب سار تيمور زمنا طويلا حتى عن له أخيرا أن يجمع مسرحياته القصيرة التى نشرها متفرقة ومن قبل بين دفتى كتاب واحد .. ويبدو أنه استشعر ضخامة حجم الكتاب اذا نشره باللغتين معا .. فآثر أن ينشره بلغة واحدة .. ولم تكن كما قد يتوقع الكثيرون الفصحى .. ذلك أن الأديب المجمعى رأى أن يبدأ بنشر المجموعة باللغة العامية واعدا القراء أن ينشر النسخة الفصحى منها فى وقت قريب حتى لا تظل حبيسة نطاق محدود فى بلد عربى واحد .. وقد برر هذا الاتجاه بأن المسرحيات التى يضمها الكتاب هى من المسرحيات « ذوات الموضوعات العصرية والجو المحلى » .

وآثر الأستاذ تيمور أن يسير فى الشوط الى النهاية فجعل لمجموعته عنوانا عصريا فأطلق عليها



To: www.al-mostafa.com

« خمسة وخمسة » وبحثت عن الخمسة والخميسة بين مسرحيات المجموعة الست فلم أجدها •• وفى نهاية الأمر اكتشفت السر فى تسمية المجموعة بهذا الاسم الرنان ـ أو هكذا على الأقل هيىء لى فالخمسة يعنى بها المسرحيات الخمس الأولى أما الخميسة فهى المسرحية السادسة « برقبة » التى وردت فى ختام الكتاب فى ثلاث ورقات ونصف فقط لاغير •

وليست « لغة الحوار » هى الفارق الوحيد بين مسرحيات تيمور الاجتماعية ومسرحياته التاريخية التى نشرها بلغة واحدة هى اللغة الفصحى •• ذلك أن من بمعن النظر فى كلا النوعين من المسرحيات يسترعى انتباهه فارق هام فى البناء الفنى للمسرحية •

فتيمور عندما يكتب مسرحية اجتماعية •• يختار بدقة ومهارة شخصياته من بين النماذج البشرية التى تعيش فى مجتمعنا المعاصر ويدفع بهذه الشخصيات الى بعض المواقف الحرجة أو الطريفة •• وما ان تبدأ الشخصيات فى الاندماج فى المسرحية حتى يتركها تسير

فى طريقها الطبيعى الذى تسير فيه الحياة الاجتماعية وبقف بعيدا يصور بعدسته الفوتوغرافية حركاتها وسكناتها وخلجاتها ويلتقط ما يدور على لسانها من حوار متدفق .. ويخرج فى النهاية بشخصيات رسمت بعناية فائقة وبحوار يتسم بالصدق والبساطة وبتحليل بارع للنفس البشرية فى مختلف حالاتها .. ولكن قلما ما يخرج بعمل مسرحى متكامل .. ولعل أصدق مثال على ذلك مسرحيته الاجتماعية المخبأ رقم ١٣ .. فالمسرحية من أولها الى آخرها تدور حول تصوير مشاعر مجموعة من البشر يعشون لحظات الرعب والهلع فى مخبأ يقيهم من الغارات الجوية .. والمسرح بعد ذلك ليس لها هدف محدد يشير نحوه ولا يرتبه أبطالها الا بأوهى الروابط التى تجمع مجموعة متنافرة من الناس التقت على غير موعد فى ظروف عصيبة ورغم ذلك كله فالمسرحية صورة بارعة ناطقة لأدق خفايا النفس الانسانية وهى تتأرجح بين الخوف والرجاء عندما يفزعها نذير الموت ويهدىء من روعها بشير الأمان .

أما المسرحيات التاريخية فقد أولاها تيمور عناية

تفوق بكثير عنايته بالمسرحيات الاجتماعية فهو يختار لمسرحياته أبطالا يتسمون بالجرأة والشجاعة ( عبدالرحمن الداخل ـ امرؤ القيس ـ الحجاج ـ عنترة ) ويختار لقطات هامة من سيرتهم يمتزج فيها الواقع التاريخى بسحر وأعاصير تجتاح حياتهم الاجتماعية والسياسية .. ومن خلال صراعهم مع الأحداث والاعداء .. تعمر المسرحيات بالحركة وتنبض بالحياة .

والمؤلف لا يملك أن يترك أبطاله هنا سيرون ببساطة فى الطريق الذى اختاروه لأنفسهم ويكتفى بوقف التسجيل الفوتوغرافى .. لأنه لو فعل ذلك لخرجت المسرحيات من نطاق الفن والأدب الى مجال السياسة والتاريخ ولجاءت مسرحياته تسجيلا صادقا لأحداث التاريخ فحسب ولكنه ظل يتعهد أبطاله بالعناية والرعاية منذ السطور الأولى وعمد الى تطوير الشخصيات وخلق المواقف العصيبة بل أوجد شخصيات ليس لها أثر فى كتب التاريخ ومع ذلك فقد وجدت مجالها الطبيعى فى سير الأحداث حتى يخيل للقارىء أن

هذه الشخصيات قد وجدت وعاشت فعلا هذه الأحداث ولعل أصدق مثال على ذلك شخصية الاهوازيه التى كان لها أكبر الأثر فى تطوير الأحداث فى مسرحية « ابن جلا » •

من أجل ذلك جاءت مسرحيات تيمور التاريخية ( نهر فرين ـ اليوم خمر ـ ابن جلا ) فمة انتاجه المسرحى وتختلف عن هذه المكانه مسرحية ( حواء الخالدة ) التى ترسم صورة من حياة عنترة لأن الطابع الاجتماعى غلب على جو المسرحية فعنى المؤلف برسم الشخصيات وتحليلها أكثر مما عنى باحكام البناء المسرحى •

وكنت أود أن يكون بداية حديثى عن مسرحيات تيمور هو عن مسرحياته التاريخية لكننى آثرت أن أخصص هذا المقال لمسرحياته القصيرة التى تضمنتها مجموعة « خمسة وخمسة » لأنه أحدث مؤلف مسرحى صدر له ولأن عنايته بجمع هذه المسرحيات واعادة طبعها ونشرها على هذا النحو يدل على أنه يولى مسرحياته

اهتماما خاصا من الواجب أن يقابله اهتمام من النقاد والدارسين .

والآن الى مسرحيات الكتاب ...

« حكمت المحكمة » اولى مسرحيات المجموعه نروى قصه فرويه ( نظيمه ) متزوجه من جزار ( حفناوى ) وقد رزقت منه ثلاث بنات تباعا .. ولما حملت فى المره الرابعة اندرها بأنه لن يطيق أن يكون المولود الرابع انثى وأنه اذا حدث ذلك فسيذبح البنت فور ولادتها على باب البيت .. وطوال أيام الحمل كان لا يفتأ يكرر وعيده ملوحا بسكينه الطويلة التى يحملها بحكم مهنته فى عدوه ورواحه .

ويأتى اليوم الموعود وتضع نظيمة وليدها فاذا به أنثى .. وتتزاحم الخواطر فى رأسها ويتملكها الرعب .. وتزيد الحاجة خطوة القابلة من رعبها فتؤكد لها أن زوجها الجزار لن يتورع عن أن ينفذ وعيده .. وتلعب الريح بالباب فيخيل للزوجة أن زوجها مقبل لا محالة لاتمام عملية الذبح فيرتعش جسدها من الخوف

وتأخذ البنت الصغيرة وتجرى بسرعة تاركة البيت وكلما أسرعت فى سيرها هيىء لها أن زوجها يطاردها والسكين فى يده ويصرخ طالبا منها الوقوف والامتثال لأمره .. وتدخل المرأة مزارع القطن وهى تحتضن ابنتها الوحيدة ولايزال يرن فى أذنها صوت زوجها يناديها فتهرع الى الساقية وتقف أمامها ثم تفتح ذراعيها وتقول فى وديعة الله يا بنتى فتسمع صوتا لارتطام البنت بالقادوس ... وفى الصباح يعثر الخفير على البنت فاقدة الحياة فى الساقية وعلى الأم نائمة بجوار الساقية وتساق الأم الى التحقيق وأمام وكيل النيابة يبدأ التحقيق ويبدأ حوار المسرحية .

يسألها وكيل النيابة عن واقعة رمى بنتها فى الساقية ..فتعجب لهذه التهمة أشد العجب وتتساءل كالمذهولة هل من المعقول آن تقتل أم ابنتها .. لقد كانت البنت على حد تعبيرها ( عيونها خضر زى البرسيم البدرى وشعرها أسود ناعم زى القطيفة الخفافى .. ووشها أبيض زى القشطة الصابحة ) ويقاطعها الخفير

من وقت لآخر فيدخل معه فى مشادة تتهمه فيها بالكذب والضلال .. وفى نوبه ذهول تروى فى كلمات منقطعة الفصة كما عرضناها .. ويطمئن المحقق الى أنه أتم مهمته باعتراف الام الكامل بالجريمه وملابساتها لكنه يفاجىء بها بعد ذلك تستغرق فى غيبوبة قصيرة تفيق بعدها وهى لا تذكر شيئا مما قالته .. بل ولا تعرف لماذا توجد فى ذلك المكان .. وتتساءل اين هى فيجيبها الخفير فى غلظه ( انتى فى النيابه .. قدام حضره الباشا ) فتصيح مذعورة ( النيابه .. النيابة ليه .. سرقت سريقة .. قتلت قتيل .. ) فيجيبها وكيل النيابة ( أيوه قتلتى بنتك ) فتصيح ( بنتى . ؟ . ؟ ) ولما يعجب المحقق من انكارها المفاجىء بعد أن اعترفت صراحة أمام الجميع بفعلتها تهمهم ( انكر .. انكر ازاى .. انكر ليه .. بقى حاصدق نفسى واكذبكم كلكم يا حضرة القاضى .. عيب .. عيب .. ) وعلى هذا المنوال من الانكار الممزوج بالاعتراف أو الاعتراف المشوب بالانكار يسير الحوار فى المسرحية .. وفى النهاية تطأطىء رأسها

فى استسلام ثم ترفعها بغتة وتدور بنظرات منحيرة تلمح خيالا وتصيح ( أنا أقتل بنتى .. بصوا لى كويس .. أنا وش قتل يا ناس يا أهل الخير .. قولوا كلمة عدل .. مافيش حد فبكوا يحب الحق .. بقى مسكونى وتقولوا على انى قاتلة وتسيبوه هو الجزار اللى ايديه تملى فى الدم .. يا ناس قولوا لى بتعملوا فى كده ليه .. فهمونى الحكايه ايه . فين البنت .. ما تتكلموا وتحكوا لى اللى حصل .. ) .

وتستمر فى صياحها حتى تختم أقوالها والمسرحية كلها بهذه الكلمات ( الحفناوى قتل العروسة الصغيرة أم عيون خضر وسعر أسود هو ده يخلص من الله .. الله لا يسامحك يا حفناوى ربنا يسلط عليك اللى ينتقم منك ) .

هذه المسرحية ـ فى اعتقادى ـ كانت فى الأصل قصه قصيرة عاشت فى دهن تيمور أو فى ادراج مكتبه ولما رأى أن يخرجها الى النور استهواه الحوار الذى ينبع من صميم المأساة التى تعيشها الأم الثكلى التى

بلغ بها الحرص على ابنتها مبلغا طغى على كل ما عداه حتى انزلقت فى نهايه الامر الى رميها فى الساقيه فى لحظة ذهول أو جنون وهى تظن أنها بذلك تباعد بينها وبين أبيها الذى يعتزم ذبحها بالسكين .

أهول استهوى نيمور هذا الحوار الطريف الذى انساب على لسان الفرويه السذجه فآثر آن ينسحب كقصصى من الساحة وآن يطلق للفرويه العنان فى التعبير عن خلجات نفسها يبادلها الحديث من وقت لآخر محقق دكى متزن تمرس بالقضايا والتحقيقات ويقاطعها من لحظة لأخرى خفير نظامى يظهر الولاء للسلطة ممثله فى وكيل النيابة والتشدد مع المتهمين بخرق القانون .

وعلى هذا النحو جاءت المسرحيه حوارا قصصيا أو قصة حوارية .. فهى وان كانت تمثل لقطة انسانية بديعة الا أنها مع ذلك تفتقر الى كثير من مقومات العمل المسرحى .

فالمسرحية تصور موقفا ولا تعالج موضوعا تصور موقف انسانه حزينة ذليلة أمام سلطان القانون وقد

اختلت فى ذهنها الصور والأفكار والمعايير ولايمكن القول بأنها تعالج موضوعا متكاملا .. حتى ولو كان هذا الموضوع هو مشكله انجاب البنات فى الريف وموقف الآباء والامهات منها فالمسرحية لم تعرض جذور المشكلة .. لمادا يعارض الآباء فى انجاب البنات .. وما هو موقف المجتمع الريفى من هذه المشكلة بصفة عامه .. كما لم تبرز الحلول المناسبه لها .. وما كان للمسرحية أن تتضمن شيئا من ذلك فى الاطار الذى قدمت فيه .. فالمؤلف لم يظهر شخصية الزوج ولا القابلة على مسرح الأحداث اطلاقا كما جاء مسرح الأحداث نفسه قاصرا على حجرة وكيل النيابة وكان فى امكان المؤلف أن يعرض صورا من الحياة فى الريف يعرض مناظر من منزل الزوجة والحقل والساقية خلال الحوار الذى دار فى حجرة التحقيق باستعمال بعض الجمل المسرحية المعروفة .. والمسرحة على هذا النحو يمكن اعتبارها شريحة أو مشهدا من مسرحية ذات فصل واحد متعددة المشاهد والكلام عن الموضوع يسوقنا الى الحديث عن الحركة وتطوير الشخصيات فكلام

المرأة القروية وان كان ينبض بالحراره الا أن حديثها لم يستطع ان يبعث الدفء والحياة فى حوار وكيل النيابه والخفير النظامى وفى تصرفاتهما .. فجاءت المسرحيه رتيبه خالية من الحركه والحياة .

سخصينا وكيل النيابه والخفير فطعا شخصيتان سلبيتان غير مطورتين .. شخصية الام تطورت خلال منافسه وكيل النيابه لها وخرجت من مرحله الذهول والانكار الى مرحله الاعتراف .. ولكنها قبيل نهاية المسرحيه تعود فتلبس ثوبها الأول ثوب الذهول والانكار وان كان هذا الثوب قد اصطبغ بصبغة جديدة .. الاستسلام للمقادير بعد أن أفلت لسانها دون وعى منها بأسرار الجريمة .. ومن ثم فيمكن القول بأن شخصية الأم قد تطورت تصورا جزئيا .

والذى يستلفت النظر رغم ذلك كله ان محمود تيمور استطاع أن يرسم صورة صادقة لبعض النماذج البشرية التى تعيش فى القرى والكفور واستطاع بمهارة أن يغوص الى أعماقها ليكشف عن خباياها

ومجاهلها فجاءت شخصيات المسرحيه واضحه كل الوضوح وجاء الحوار الذى أرسله على لسان القروية بالذات طبيعيا ومقنعا انظر اليه وهو يصور اللحظات السابقة على ارتكاب الجريمه كما روتها الأم المتهمة فى التحقيق ( بعد ما ولدت والذى منه والعيال ناموا سابتنى الحاجة فطومة وروحت قمت لقيت نفسى مش طايقة اقعد فى البيت .. كنت حطه البنت فى حجرى وعماله أهزها وكل الهوا ما يزق الباب قلبى يطب أقوم منطورة ويتهيأ لى أن الحفناوى داخل والسكينة الحامية فى ايده .. وبعدين سمعت حس من بعيد قلت أهو الحفناوى جه من دوار العمدة بصيت لقيت نفسى خارجة من الدار على طول وأنا مخبية البنت فى عبى .. كانت نايمة يا حبة عينى خرجت أجرى وكانت الدنيا ضلمة كحل .. وفضلت أجرى زى الحرامية لحد ما دخلت غبط القطن وأنا حاضنة البنت على صدرى ... ) .

وانه لئن كانت المسرحية قد جاءت خالية من صراع حقيقى بين شخصياتها الا أن المؤلف أجاد تصوير الصراع الداخلى الحاد الذى دار فى أعماق القروية

الساذجة وهى ترى تصرفها الطائس بوردها كما أورد بنتها التهلكة وهى لا تصـــدق أن هذه البنت الحلوة الجميلة ذات العيون الخضر والوجه الصبوح قد ماتت فعلا وأصبحت مجرد ذكرى •• بل انها تشفق من أن يكون قد أصابها أى مكروه على يد الوالد القاسى اللعين وتطلب من الحاضرين أن يبعثوا الى قلبها الاطمئنـــان بأن شيئا من ذلك لم يحدث وأن الطفلة الحلوة •• بخير وعافيـــة لم ينلها أذى وينتهى هـــذا الصراع بخبـــل أو جنون وقتى أو دائم يصيب المرأة البائسة وهى تقف موقف المتهمة •

هـــذه القدرة على رسم الشخصـــيات وتصـــوير الصراع الداخلى فى أعماق النفس البشرية هى أخص خصائص تيمور وهى لا تفارقه عندما يتحول أحيانا الى اللون المسرحى ولعل هـــذه القـــدرة هى التى جعلت بعض مسرحياته الاجتماعية تأخذ بمجامع القلوب رغم توافر مقومات البناء المسرحى لها •

أما مسرحية الصعلوك التى جرت أحداثها كمـــا

بشير المؤلف سنة ١٩٤٠ فهى تعرض جانبا من حياة امرأة « وحيدة هانم » غير متزوجة وذات حمال وثراء وتعيش وفق هواها فى منزل يدل مظهره على الترف .. الطرف الآخر فى المسرحية « دردير أفندى » شخص دسم الخلقة خفيف الظل يقوم بدور النديم والتابع والمهرج فى وقت واحد .. يؤدى الخدمات الخاصة لوحيدة هانم وينقل اليها أخبار المجتمع والصالونات والخلافات والطلاق والزواج والسباق ... الخ ويستميت فى الدفاع عنها اذا مست سمعتها بكلمة أو عبارة أو رواية جارحة .

ورغم البون الشاسع بين وحيدة هانم ودردير أفندى فى المال والجمال والمركز الاجتماعى فان دردير لا يستطيع أن يمنع قلبه من أن يخفق بحب هذه المرأة اللعوب .. يظل يكتم هذا الحب بين جوانحه حتى تطلق الخمر لسانه من عقاله فى احدى الحفلات فيصرح أمام الناس بأنه يحب وحيدة هانم ويريد أن يقبلها .. فتثور لهذه الوقاحة ثورة عارمة وتصدر أوامرها الى الخادم بأن يطرد دردير من المنزل اذا فكر فى زيارتها .

ويفتح السمار على الهانم جالسة فى استرخاء على المكأ تدخن وتتصفح مجلات الأزياء فى اهمال وقد ارتدت ملابس غاية فى الأناقة وحسن الذوق والوقت قبل الغروب وبستأذن حسن الفراش فى الدخول فتأذن له وينهى اليها مضطربا أن دردر آفندى على الباب فتنهره وتذكره تعليماتها السابقة ولا ينتظر دردر الاذن بالدخول وانما يقتحم الحجرة وهو يصيح بأن روحية هانم قد بعثت به اليها بشأن مبالغ من المال كانت قد استدانتها من قبل .. ويبدى دردبر من ضروب المذلة والاستكانة مما يجعل وحدة تسترسل معه فى الحديث ولكنها ما تلبث أن تذكره بفعلته التى لن تغتفرها له فيقول لها خاشعا « كل ما كان الذنب كبير كل ما كان الصفح أعظم » ويجلس تحت قدميها كالكلب الوفى يذكرها باخلاصه لها وكيف انه تحمل الضرب والسجن فى سبيلها ومن أجلها . وترمى اليه لفافة وهو يحدثها عن أخبار المجتمع وفضائحه ثم يطلب منها فى الحاح أن تضربه بضعة أقلام على صدغيه وتصفعه فى رفق وهى غارقة فى الضحك .

وفجأة يلقى بهدوء وفى غير اهتمام قنبلة يكون لها أبلغ الأثر عند وحيدة .. لقد كسب نمرة المواساة السكندو ( ١٠٠٠ ) ألف جنيه كاملة غير منقوصة .. وتكذبه فى بادىء الأمر ثم نصدقه عندما تشاهد النقود بعينها وتتساءل عما ينوى عمله بهذه الألف فيخبرها أنه سينفقها فى ليلة واحدة يقضيها مع غانية تدعى لوليت صديقة الأمراء والملوك والعظماء .. وتعجب وحيدة كيف ينفق ألف جنيه على امرأة فى ليلة واحدة .. لابد أن جمالها يفوق حد الوصف وبجيبها ( حسنها ما يتوصفش .. تعرفى جزمتك انت تساوى ألف واحدة زى لوليت ) وبدور حديت هامس تتخلله بعض التنهدات .. ويحملق دردير فى وحيدة بعيون تشع نارا وهى مستلقية على المتكأ مسبلة الأجفان وتتمتم ( ويهم ايه مش ليلة واحدة .. ) وبرمى دردير بنفسه على يديها وبغمرها بقبلات جنونية ثم يدنى رأسه شيئا فشيئا من رأسها ويهم بتقبيله وتدار الحجرة فجأة ويدخل حسن الفراش بالقهوة فينهره ويطلب منه احضار شمبانيا على الفور ويقف دردير بعض الوقت صامتا تائه النظرات

فتعجب وحبدة من ذلك وتساءل ( مالك واقف مبلم كده .. دا أنا كنت فاكره ان الفلوس خلتك راجل تانى بقى انت اللى كنت عاوز تهيص مع لوليت .. لوليت فى عينك .. ) .

وبقبل الفراش بأقداح الشمبانيا فجرع منها دردير فى نهم .. ويعود الفراش بخبر الهانم أن « سعادة الباشا » على التليفون فيطلب منه دردير أن يخبره أن الست غير موجودة فتردد الفراش كالمذهول فتقول له وحبدة ( انت ماسمعتش البه قال ابه .. قول له انى مش هنا .. ) . وبجره دردير من كتفيه وهو يقول ( قول له سعادة الألف جنيه هنا .. شىء عجيب ) .

وبتحدث دردير عن نفسه وتساءل وهو يعب الخمر عبا .. ( بقى الخلقة دى تعجب حد يا عالم .. ) .

وترد عليه الهانم فى خبث والابتسامة تعلو شفتيها ( ليه .. مالها .. مش بطالة .. المهم ان دمك خفيف ) وتفقده الخمر صوابه فيقول فى صراحة تتغابى عنها الهانم ( بذمتك كان يبقى دمى خفيف لو كان جيبى

خفيف ) وتؤكد له وحيدة انه طوال عمره لم يعرف قيمة نفسه وان دمه خفيف فعلا ، ولكنه بذكرها بأنه يشبه الخنفس وهى تشبه الجوهرة وتنتابه حالة ذهول يخرج بعدها الأوراق المالية من جيبه ويحدجها بنظرة ملتهبة ثم ينهال عليها دعكا وتمزيقا فى ثورة صاخبة يشتبه فيها الضحك بالبكاء وتحاول وحيدة منعه من ذلك فلا تفلح انما يستمر فى تمزيق الألف جنيه اربا اربا وهو يصرخ ( لا .. اقطعهم كلهم .. كلهم .. مستحيل أنا أكون غير دردير الصعلوك وأنت غير وحيدة هانم الجميلة الغالية حافضل أنا زى ما أنا وأنت زى ما انت .. ) .

وتثور ثائرة وحيدة وتنهال عليه ضربا فيقع على الأرض فتطرده وهى تنعته بأحط النعوت فيخرج زاحفا على يديه ورجليه .. وتستلقى هى على وجهها وتشهق بالبكاء فى غيظ ثائر قائلة ( الكلب .. الدون .. السافل .. الدنىء .. المجنون ) .

لقد استطاع تيمور أن يصور بمهارة ودقة الصراع

الداخلي الذى دار فى أعماق بطلى المسرحة وأثر ذلك الصراع على انفعالات وتصرفات كل منهما .

وحيدة هانم دار فى أعماقها صراع بين كبريائها وغرورها وترفعها من جهة وحبها الشديد للمال وشغفها به من جهة أخرى وأخذت تتدرج فى معاملتها للنديم المهرج .. بدأت بالتظاهر بالصفح عنه ثم ذكرت ان دمه خفيف وشجعته على الاقتراب منها فاذا صرخت فى أعماقها نوازع الغرور والكبرياء اسكتتها بقولها لنفسها انها ليلة واحدة وماذا يضيرها أن تسلم له نفسها ليلة واحدة مقابل الألف جنيه .. ويغذى حب المال شعور حاد بالغيرة من لولبت هذه التى يسلب جمالها لب الملوك والأمراء .. وينتصر صوت المال وتتخذ قرارها بالاستسلام له .. ويندفع هو فى هذا التيار لولا دخول الفراش بأقداح القهوة .

أما دردير نفسه فقد كانت أعماقه محلا لصراع أشد عنفا وقسوة .. صراع بين حبه الجارف لهذه الهانم الجميلة اللعوب من جهة وشعوره الداخلى بالمهانة

وبالفارق الحقيقى الذى يقف بينه وبينها حائلا كالسد.. لا يحول دون قيامه صفو ساعة أو بعض ساعة يدفع ثمنه كل ما يملك من ثروه .. فى بادىء الأمر تطغى شهواته وعواطفه على تفكيره .. ويسنى نفسه بالسعادة التى ظل يحلم بها .. لكنه وقد أدارت الخمر رأسه يجد فى نفسه الجرأة لكى يعلن الحقيقة الثابتة دون مواربة.. انه ليس أهلا لها .. وهى لم تخلق لمثله .. وينغلب الشعور بالمهانة والمرارة والازدراء لنفسه وينسحب من منزل الهانم مطرودا يحبو على يديه وقدميه .

وتكاد القيمة الفنية للمسرحية تتركز فيما أبداه المؤلف من مهارة فى تصوير هذين اللونين من ألوان الصراع النفسى .

لكن أين هذا من الصراع المسرحى الذى يعتبر ركنا من أركان أى عمل مسرحى لاغناء له عنه ... ؟؟

من الواضح أنه لا يوجد فى المسرحية محور لصراع حقيقى بين بطلى المسرحية .

فلا توجد قضية أو فكرة يختلفان بشأنها ..

وانما على العكس يبدو أن الاثنين رغم ما حملت به المسرحيـــة من مفارقات لا يختلفـــان كثيرا فى نظرتهما الجوهرية لبعض الأمور وان كانا يختلفان فى السلوك وأســـلوب الحياة اختلافا لا يرقى الى مرتبه الصراع •

هل تعتقد ان الناس يصفقون لمن يسلىء جيبـــه بالمـــال •• حتى ولو كان صعلوكا قبيح الخلقة •• وهو أيضا يرى الحياه تبتســم فى وجه من يدفع بسخاء •• وتعبس فى وجه الفقير المعدم •• وكما انه لايوجد صراع بين بطلى المسرحيه فكذلك لايوجد صراع بينهما أو بين أحدهما من جهه وبين بعض القوى الأخرى من جهـــه أخرى •• مثل صراع الانســـان مع القـــدر أو الغيب أو الموت ••• الخ •

لكن هـــل يعنى انعدام الصراع المسرحى بالمعنى المفهوم انعدام الموضوع •• الحقيقة أن المسرحية تعالج موضوعا ولكنه موضوع مطروق ومعروف •• سحر المـــال الذى يطغى على كل شىء ويغطى العيـــوب والمساوىء ويجعل القبيح جميلا والصعلوك « سعادة

البك » لكن طلاوة العرض والحوار واجادة رسم الشخصيات وتحليلها كل ذلك اكسب الموضوع توبا راهيا قشيبا بحيث لايمكن اعتباره مجرد ترديد لما سبقه من أعمال أدبية عالجت هذا الجانب من جوانب الحياة البشرية .

والمسرحية فوق ذلك تنبض بالحركة منذ السطور الأولى ولعل السبب فى ذلك أن المؤلف استخدم عنصر المفارقة .. الذى أغرم برناردشو من قبله باستعماله ليجعل المسرحية تنبع بالدفء والحرارة .

هذا التباين الواضح الشديد بين شخصية وحيدة ودردير وسلوكها .. أبعد عن المسرحية الرتابة ويعث فيها الحياة .

خلاصة القول ان هذه المسرحية وسط بين القصة الحوارية وبين العمل المسرحى .. أو بمعنى آخر خطوة على الطريق نحو المسرحية المتكاملة .

أما المسرحية الثالثة فى المجموعة « أبو شوشة » فهى تمثل تطورا هاما لمفهوم المسرحية القصيرة عند

تيمور وهذا التطور نلمس أثره واضحا فى المعالجة والبناء الفنى للمسرحية على النحو الذى سنتبينه بعد قليل •

يرفع الستار على بهو منزل مؤنس بك فى ضيعته كفر البلابل •• يصف المؤلف المنزل بأنه نظيف ومرتب عليه الطابع الريفى •• نجلس فى البهو يسريه زوجة مؤنس بك ومعها مربيتها ويدور بين الاثنتين حديث يستشف منه أن ربة المنزل من أسرة ريفية طيبة وان عزبه كفر البلابل قد أصبحت عزبه نموذجيه ومضرب الأمثال بين العزب فى السنوات الأخيرة وتخرج يسرية ومربيتها وتظهر على المسرح برجة خادمة بارعة الجمال وعوضين خادم المنزل وينطارحان أحاديث المودة ويرسمان خطوط المستقبل ويعد عوضين برجة أن يذهب بها الى القاهرة بعد أن يتزوجها ليقضيا بعض الوقت فى النزهة وزيارة المشايخ وشراء بن وسكر وتمنى برجة النفس بأن تبقى فى القاهرة الى الأبد شأن بنت خالتها شلبية لكنه ينهرها فى رفق •• ويسمع صوت مؤنس بك ينادى عليه غاضبا فيسرع اليه ويعلن البك أن مصيبة كبرى

قد حلب •• العجل أبو سوسة امتنع عن تناول الطعام ودمعت عيناه •• يا للكارثة •• يعطيه مؤنس الدواء ويطلب من عوضين أن يسرع باستدعاء أبى هجرس ليلازم العجل ويسهر على صحته •• وتقبل يسرية على زوجها متوددة فتحدثه عن التفاوى واللبن والزبد والجبن الذى سيعرضه فى معرض كفر الريان فيرد عليها فى فتور فتهم بمغادرة المنزل غاضبة فيتراجع ويهرب منها معتذرا منلطفا ونوجه لزياره والدتها وهى راضيه النفس •

وفى هذه الاثناء يقبل على منزل مؤنس على غير موعد بعض الضيوف عطوه باشا ومعه الشيخ غندور وظاظا بك وحسنية هانم زوجته وقد كان هؤلاء فى ضيافة عطوه باشا فى ذلك اليوم بمناسبة افتتاح مسجد جديد فى عزبته وتاقت نفس ظاظا بك أن يزور عزبة كفر البلابل التى أصبحت حديث الناس ومضرب الأمثال وبعد أن يستريح الضيوف قليلا يخرجون جميعا الى الحديقة ولكن ظاظا بك ما يلبث أن يعود الى المنزل باحثا عن ( التوربان ) وهو عصابة حريرية لزوجته

وفى هذه الأثناء تدخل برجـة ويبهر جمالها ظاظا بك وتساعده فى البحث عن العصابة الحريرية وهو يداعبها ويلطف اليها من وقت لآخر حتى نعثر على العصـابه ويضع ظاظا العصـابة على رأسها مغازلا ويفاجئهمـا عوضين فيغلى الدم فى عروقه ويشتم برجة وينهال عليها ضربا بوصفه خطيبها وزوج المستقبل ولمـا يحـاول ظاظا بك تخليصها منه تصيبه هو اللكمات وعندما تولى برجة من الحجرة هاربة يكون ظاظا على حد تعبير المؤلف ( فى حالة بشعة مفكوك رباط الرقبه مصابا فى وجهـه بكدمات ) ويتحدث الى عوضين فى عزة واشـفاق فى وقت واحد ( ما تزعقش كده وانت حمقى قوى ولكن باين عليك انك راجل طيب ) ويمد يده اليه بقطعة نقود فيرفضها عوضين بإباء وشمم ويغـادر الحجرة مرفوع الرأس • وتقبل حسنية هانم تبحث عن التوربان وعن زوجها فتفاجأ به على هذا الحـال ويقبل مؤنس بك أيضا ويخبرها ظاظا أنه سقط على الأرض أثناء بحثه عن العصابة الحريرية فاصابه ما أصابه •• وتحرض حسنية زوجها على الخروج من الحجرة فشربات الليمون ينتظره

فى الحديقة والناظر ينظره بعد ذلك بالركايب للسرور على الاطيـــان •• ويخرج ظاظا ويخـــلو الجو لحسنية ومؤنس •• ويسترجع الاثنان ذكرى الايام الخوالى أيام أن تعاهدا على الحب والزواج ويبرر مؤنس اخلافه وعده أن والده توفى فجـــأة وترك له الديون والمشاكل فآثـــر ان يصرف كل جهـــده لتدارك الموقف واداره الأطيان بنفسه ولمـــا تخبره حســـنية انها كانت على استعداد لمد يد المعونه اليه بمالها يخبرها أن هـــذا هو السبب الذى جعله يبتعد عن طريقها فهو لا يقبل معونه من سيدة حتى ولو كانت زوجته •• وتسأله ان كان قد نسيها فيجيبها فى مرارة ( الحجر بيفضل كتير والع تحت الرماد يا حسنية ) •

وفى غمرة الذكريات يســـمع مؤنس خوار عجـــل فينتفض واقفا ويسأل فى لهفة عن الأمر فيخبره عوضين ان أبـــا نوشة يتناول الدواء فيوصيه بالعناية به ويعود الى حسنية فيجدها مدهوشـــة مغيظة••ويعود الحديث الودى بينهما وتخبره حسنية أنها ستحتفل بعيد ميلادها بعد يومين وستقيم بهذه المناســـبة حفلا خاصا يحضره

الأقارب والأصـــدقاء ومن بينهم عطوه باشا والشيخ غندور ونساءن عما اذاكان يروق له الحضـــور .. انه لو فعل فسنكون تلك فرصة لا تعوض للقاء وقضـــاء بعض الوقت فى الأماكن الخلويه ودور اللهو .

وفى هـــذه اللحظـــة يدخل عوضين صائحا يطلب البشارة ووجهه يطفح بالسرور .. لقد آكل أبو سونسه العليق ويكاد مؤنس يجن فرحا لهذا النبأ السار ويطلب من حسنية آن تصحبه الى حيث يوجد العجل لكنهـــا تجيبه فى خيبة أمل ( روح انت وأنـــا حاسيبالك هنـــا ) ويخرج مؤنس ويدخل زوجها يتمايل ثملا بما شربه من العرق فتنهره لفعلته ولكنـــه يؤكد لها آنه لم يشرب سوى شراب الليمون فقط .

ويدخل عطوه باشا والشيخ غندور وتجرى حسنية تحقيقا فى الموضـــوع فيتدخل الشيخ غندور مداعبـــا ( أؤكد لك يا هانم ان ســـوء النية ما كانش موجود عند ظاظا بك .. مسألة ســـوء تفـــاهم بين الكبايات وبعض : بين كبابة الليمون وكباية العرقى ) وتطـــلب

حسنية من زوجها فى حزم واصرار أن يتوجه للسرور على الأطلان وتأمر عوضين باعداد الركايب على الفور وتمتثل ظاظا ويخرج تاركا حسنة مع عطوه باشا والشيخ غندور ويدخل مؤنس بك على القوم فى منتهى السعادة يطلب منهم أن يقدموا له خالص التهنئة .. لقد طاب أبو شوشة وأكل عليقه وأخذ يضحك ويبتسم .. وتقول حسنية هانم ساخرة ( هيء .. يبضحك ) ويخرج الجميع لمشاهدة العجل .

يدخل ظاظا بك من باب جانبى فى حذر وفى هذه اللحظة تدخل برجة تحمل صينية فطير ذرة اعدت لتكون هدية لعطوه باشا فيستقبلها ظاظا بك مرحبا ( أهلا وسهلا برجة هانم ) . وتقدم برجة صينية الفطير فيتناول منها قطعة اثر قطعة وهى تحرضه على ذلك مؤكدة انه يسكن عمل صينية أخرى للباشا .

ويتساءل ظاظا هل ستتزوج برجة عوضين .. فترد تلك فى استنكار أنها لا يمكن أن تفكر فى ذلك .. وبعد أن يداعبها ظاظا قليلا يسر اليها حديثا هاما .. ينهلل له وجهها ويخرجان معا .

ويدخل مؤنس بك وعطوه باشا وحسنية هانم والشيخ غندور ويبدى الباشا اعجابه بالعجل فيرد عليه الشيخ غندور ( ماشاء الله ملظلظ قوى .. قوى .. اوع تفرج عليه الجزارين لحسن يسرقوه منك ) .

ويقبل عوضين مهرولا .. لقد بعث الباشا المدبر من يسأل عن المعروضات التى سيبعث بها مؤنس بك للمعرض فيؤكد مؤنس أنه سيرسل هذه الأشياء فى الصباح الباكر وتستأذن حسنة هانم وباقى الضيوف فى الانصراف .. وتشير الى مشاغلها العديدة بمناسبة عيد ميلادها بعد يومين .. فيتذكر مؤنس وعده بحضور الحفل .. وكيف ان موعد الحفل هو ذات موعد المعرض فينادى على عوضين لتدارك وعده بالاشتراك فى المعرض فتحول حسنية بينه وبين ذلك وتطلب منه ألا يضيع فرصة المعرض من أجلها فيتردد ويبدى رغبة فى حضور حفل عيد ميلادها فتقول فى عزم وتصميم ( مستحيل .. أنا متشكرة قوى على كل حال ) فيردف مؤنس بك قائلا أمرك .. والله أنا كنت أحب أكون معاكم قوى ) .

وتبحث حسنية عن زوجها بأعصاب نائرة بينما يدخل عوضين معلنا نبأ هاما ( الراجل اللى اسمه ظاظا بك أخذ البت برجة معاه فى التسبيل وهرب ) .

وعندما تبدى حسنية دهشتها لذلك النبأ يعود عوضين ليؤكده ( وحياة رأسك يا ست هرب .. كل الفلاحين شافوهم فى التسبيل زى الفريرة ) .

وتصيح حسنية هائم فى اهتياج طالبة السيارة الثانية وتخرج كالعاصفة بينما يتهالك الشيخ غندور على المقعد ضاحكا ويدخل عطوه باشا وهو يجفف وجهه بالفوطة ويتساءل ( مين هو اللى هرب .. العجل أبو شوشة ) فيجيبه الشيخ غندور ساخرا ( لا يا سعادة الباشا . اللى هرب عجل تانى .. تسال نشوف المسألة ايه ) .

ويخرج الاثنان وبعد قليل تدخل يسرية وخلفها أم سريع .. وتزف أم سريع الى سيدة المنزل نبأ شفاء أبو شوشة فتطرب لذلك ويدخل مؤنس بك ويقع بصره على زوجته فيذهب اليها مبتهجا ويحوطها بذراعه

منادبا اباها بـ ( يا حبيبتى ) فتخرج أم سريع وهى تتمتم ( ربنا يحميكم لبعض ولا يورينا وحش فيكم أبدا ) ويتحدث الاثنان فى موده عن المعروضات التى سيقدمها الزوج فى المعرض حتى يتطرق الحديث الى القطن الجديد الذى استنبته مؤنس بك ولم يعثر على اسم ويشترك الاثنان فى البحث عن اسم له وفجأة يهتدى الزوج الى الاسم المناسب ( القطن اليسرى والبذرة البسرية ) وتتساءل يسربة فى دهشة وشك ( على اسسى ) وتحدق فى زوجها طويلا ثم تخفى وجهها فى صدره متأثرة فيضمها بشغف اليه وتقبلها وفى هذه اللحظة تقبل أم سريع .. من الخارج قائلة ( أبو هجرس جاب الجواميس الحلابة يا ستى ) وعندما تفاجأ بمنظر الزوجين متعانقين تنسحب فى هدوء .. وهى تغمغم (ما جابشى حاجة يا ستى ) .. الذى يميز هذه المسرحية عن المسرحيتين السابقتين هو وفرة الشخصيات واسهامها بنصيب ملحوظ فى أحداث المسرحية فالمسرحية الأولى لم يظهر فيها سوى الأم التكلى ووكيل النيابة والخفر واستغرق حوار الأم معظم صفحات المسرحية والمسرحية

الثانية تقاسم حوارها وحبدة هانم ودردر أفندى ولم نظهر معهما سوى خادم كل همـــه أن ننفذ تعلمـــات سـيدته .. أما مسرحـــة أبو شوشـــة فقد زخرت بشخصيات عديدة كان لها أدوار ايجابية فى الأحداث.. صاحب المنزل وزوجته ظاظا بك وحسنية هانم .. حتى الخادم والخادمة كان لهما نصيب من اهتمام المؤلف فسلط عليهمـــا الأضـــواء فى كثير من المواقف تعدد الشخصيات افاد بناء المسرحية من جهة .. وأضر به من جهة أخرى .. أفـــاد بناء المسرحية لأنه جنبها الجمود والرتابة وبعث فيها الحركة والحياة واضر بالبناء الفنى للمسرحية لأن تعدد الشخصيات ترتب عليه تعدد أوجه الصراع وهـــذا التعدد فى حد ذاته لا يعد عيبـــا فى العمل المسرحى اذا استطاع المؤلف ان يحتفظ بوحدة الموضوع وان يشـــد الصراعات الصـــغيرة المتعددة لبعضها الى بعض بحيث ينتظمها صراع رئيسى واحد .

هـــذه المسرحيـــة تضمنت صراعـــا بين ظاظا بك وعوضين ــ حول الظفر بقلب برجة .. وانتهى الصراع بانتصار ظاظا بك وهروبه مع برجة .. وتضمن أيضـــا

صراعا خفيا وغير مباشر بين حسنية ويسرية حول الظفر بقلب مؤنس ويدخل أبو شوشة طرفا ثالثا فى هـذا الصراع وينتهى الصراع بانتصار يسرية ومعها أبو شوشة بالطبع .. والذى يبدو أن حرص المؤلف على أن يعطى ما أمكن صورة صادقة وحية عن الحياة فى ريف مصر ما قبل الثورة بشواته وبكواته وخدمه وحشمه .. وهـذه المسرحية فيما اذكر كتبت ونشرت لأول مرة قبل ١٩٥٢ هـذا الحرص اغرى المؤلف بأن يقيم توازنا بين الشخصيات الرئيسية فى المسرحية فجاءت تكاد تكون متعادلة فى الأهمية وأقول تكاد لأنه من الواضح ان الزوج والزوجة وأبا شوشة ظفروا بنصيب أكبر نسبيا من نصيب ظاظا وبرجة وعوضين لكن لايمكن التسليم ببساطة بأن الصراع بين ظاظا وعوضين حول قلب برجة يعتبر بمثابة صراع جانبى لا أهمية له فى المسرحية فهذا الصراع أخذ جانبا كبيرا من اهتمام المؤلف الذى صور شوق برجة الى أنوار القاهرة ومباهجها منذ الصفحات الأولى ثم صور هيام ظاظا بهذه الخادمة الحسناء هياما شديدا تحمل من

أجله اللكمات والصفعات من خادم بسيط .. وأهم من ذلك كله أن هـذا الصراع لم يخدم الصراع الرئيسى فى شىء .. فحسنية ومؤنس كان قد انصرف كل منهما عن الآخر قبل أن يهرب ظاظا مع برجة ولم يغير هروبهما شيئا من موقف حسنية أو مؤنس أو زوجته .

والذى يسترعى الانتباه أن المؤلف أوجد حلا لمشكلة برجة بهروبها مع ظاظا ولمشكلة مؤنس ويسرية بعودة المودة بينهما ولمشكلة أبو شوشة بعودة الصحة والعافية اليه .. ولكنه أغفل أبجاد حل لمشكلة حسنية وهى شخصية هامة من شخصيات المسرحية رغم أن الحل كان قريب المنال منه .

فعطوه باشا هذا الذى لم يقم بأى دور ايجابى فى المسرحية .. كان من الممكن أن نعطف على حسنية فى محنتها أو قبل محنتها ويتم تقارب بينهما بحيث يستطيع القارىء أن يستنتج أن هـذا التقارب ستكون نتيجته زواج الاثنين ويكون بمثابة رد على زواج ظاظا بك المنتظر من برجة الذى يؤكده فرارها على رؤوس الاشهاد ومن بين هؤلاء الاشهاد زوجته حسنية

التى كانت على بعد خطوات منه فى القرية .. ورغم ذلك فقد حوت المسرحية من عناصر الفوه ما غطى عيوب بنائها الفنى أو كاد ومن ذلك :

أولا ــ تطوير الشخصيات الرئيسية تطويرا طبيعيا ومنطقيا نابعا من التطور الطبيعى للأحداث ذاتها .. مؤنس بك بدا فى أول المسرحية بارد العواطف ازاء زوجته .. ومن خلال أحداث المسرحية تطورت شخصيته حتى أصبح يقف فى النهاية موقف المحب الولهان أمامها وانه لئن كان المؤلف لم يلق ضوءا كافيا على سر هذا التطور الا أنه جاء منطقيا ومتمشيا مع طبيعة الأحداث .. ففى بداية المسرحية كان مؤنس مشغول البال بمرض ( أبو شوشة ) ومن أجل ذلك كان متوتر الأعصاب .. وقبل النهاية كان أبو شوشة قد شفى من ناحية وكان صاحب المنزل قد اجتاز تجربة عاطفية جديدة مع حسنية التى كان يبادلها عواطف الحب والهيام فى فجر شبابه .. ولكن سرعان ما منيت هذه التجربة بالفشل قد يكون من أسبابها شدة تعلق مؤنس بالعزبة والعجول والمعرض والحياة فى الريف

بصفة عامة ونفور حسنيه من هـذه الأشياء .. وقد يكون زهد كل منهمـا فى الآخر أو اشـفافه من انارة كوامن الحب القديم وكلاهما مرتبط بشريك لحياته .. المهم أن فنيل هذه التجربه الجديدة جعل مؤنس ينحفز لاستقبال زوجته استقبالا حارا يلوم معه نفسـه على مجرد التفكير فى خيانتها ويدخر لها فيه سحنة كاملة من عواطف الحب والوفاء والاخلاص .. تشخصيه ظاظا أيضا منال رائع على قدرة نيمور على تطوير الشخصيات فقد بدأ ضعيف الشخصية مسلوب الارادة يتحرك بأمر زوجته وارادتها وحدها ان أمرته بالخروج الى الحديقة انصاع لأمرها وخرج على الفور .. وان بعثت به يبحث لها عن عصابتها الحريرية عـاد كالتابع الأمين يبحث عنها وان استشعرت خروجا منه على تعليماتها بعدم تنـاول بعض المشروبات قامت بزجره على مسمع من الملأ .

وهـكذا .. ولكن هـذه الشخصـية الضعيفة المتخاذلة طرأ على حياتها ما بعث فيها القوة والقدرة على التصميم والتنفيذ دون انتظار الاذن أو الاشـارة من الزوجة .. بل يذهب الى تحدى الزوجة ذاتها ـ لقد

دخلت حياته برجة وادار جمالها الرائع رأسه وجعله يعدم على انخاذ كل هذه الخطوات .

برجه نفسها تطورت شخصيتها من خلال الأحداث .. بدات فتاة غريبة ساذجة بادئ عوضين الحب لكنها تحن الى زيارة القاهرة والاقامه فيها وتعريها بدلك ابنه خاله لها ( شلبيه ) دهبت اليها من قبل واستمرت فيها .. وعندما توافيها الفرصة سانحه مسئله فى شخصيه ظاظا بك الذى افتتن بجمالها لا بلبث أن تهتبلها وتتطور شخصيتها وتكسر القيد وتتنكر لعهدها لعوضين وتقبل الهرب مع ظاظا فى سيارته .

ثانيا ــ امتازت هذه المسرحية فى كثير من مواقفها بالسخريه الحادة تتساب بين سطورها فى رفق دون ما نمه افتعال أو تهريج .. والمؤلف قد أعد عدته لهذه السخرية منذ اللحظة الأولى التى أخذ فيها فى ارساء قواعد المسرحية فيجعل أبا شوشة هو محور اهتمام صاحب الضيعة .. اهتماما يجعله يذرف الدمع أسى ضحكا وسخرية من هذا الاهتمام .. كما حفلت المسرحية ببعض الشخصيات التى تتسم تصرفاتها

أو حديثها بالسخرية ومن ذلك ظاظا بك الذى تحمل الكلمات والصفعات فى صبر من أجل عيون برجة .. ويقبل على حينيه فطير الذرة فى نهم وهى لم تعد له وانما لعطوه باشا .. والشيخ غندور الذى لا يترك موقفا يستحق التعليق الساخر دون أن يدلى بدلوه ومن ذلك حديثه عن هرب ظاظا بأنه عجل آخر على النحو الذى أشرنا اليه عند تلخيص المسرحية .

ثالثا ـ استخدم بيمور فى هذه المسرحيه الأسلوب غير المباشر فى رسم الشخصيات ومن قبيل ذلك شخصيه حسنيه .. فهو لم يقل صراحة فى أى جزء من أجزاء المسرحية انها قليلة الحظ من الجمال الذى قاله عنها فى مقدمة المسرحيه ان عمرها ٢٩ سنة وانها زوجة ظاظا بك ومع ذلك فقد قال من خلال الأحداث انها لابد ان تكون قبيحة أو على أحسن الفروض متوسطة الجمال ـ فهذه المرأة التى يهجرها حبيبها ( مؤنس بك ) هى فى شرخ الشباب ورغم ثرائها العريض فى الوقت الذى يعانى هو فيه أزمة مالية والتى يهجرها زوجها ليهرب مع خادمة حسناء بعد لقاء عابر قصير لا يتصور

أن تكون قد أوتيت من حسن أو جمال ولا يمكن أن يكون هجرها مره اثر آخرى الا لهذا السبب •

رابعا ــ اجاد تيمور فى هــذه المسرحية أيضــا تصوير الصراع الداخلى ••

وهناك موقف قد يبدو للقــارىء غير رئيسى فى المسرحيه لكنه حظى من اهتمام الكاتب وعنايته بالشىء الكثير فجــاء فى الروعه والابداع دلكم هو المشــهد الذى كان يقف فيه مؤنس موزع العواطف والمشاعر بين حسنيه من جهة وأبى سوسة من جهة أخرى •

واستيقظ الحب فى قلبه وقلب حسنية معا أو هكذا هيىء لهما فأخذا يسترجعان المــاضى بذكرياته بل وتعد حسنية العدة لوصــل الحــاضر بالمــاضى ولا تتورع وهى زوجه لشخص آخر له مكانته الاجتماعيــة من دعوة الصديق القديم لحضور حفل عيد ميلادها لتكون تلك فرصــة ذهبية يلتقيان فيها فى غفلة من أعين الرقباء فى دور اللهو والأماكن الخلوية •• ورغم حرارة اللقــاء التى كانت تزداد من لحظة لأخرى •• فان مؤنس عندما

يسمع خوار العجل لا يلبث أن يترك حسنية ويلتفت لمصدر الصوت .. وعندما يأتيه من يبشره ان العجل قد أكل عليفه وشفى من مرضه ينصرف عن حسنيه ويتركها مدهوله وتتحول عواطفه وأفكاره وخواطره الى أبى نبوته العظيم الذى سيرفع رأسه عالية فى المعرض الذى سيقام بعد يومين .

هذا الصراع الذى يدور فى أعماق الرجل بين عواطفه نحو المرأه التى تقف بجانبه وبين رغبته الملحه فى اشباع هوايه له يصرفه عن الاستماع لصوت المرأة وتوسلاتها صورة من قبل يوجين اونيل فى مسرحيته القصيرة ( صيد الحيتان ) وقد انتهى الصراع الذى دار فى أعماق القبطان بانتصار الرغبة فى صيد الحيتان ويرفض توسلات زوجته بالعودة الى الشاطىء والعزوف عن الصيد .

واذا كانت هذه المسرحية تعتبر من أروع ما كتب أونيل من المسرحيات القصيرة فان المشهد الذى صوره تيمور بقلمه او بمعنى ادق رسمه بريشته يعتبر من أجود ما كتب وقد رفع كثيرا من قدر المسرحيه .

وبعد هذه مسرحيه أبى شوشة قمة انتاج تيسور فى المسرحية القصيره وانضج مسرحياته وأقربها الى الكمال •

ولا أفتنى بعد ذلك فى حاجه الى عرض المسرحيات اللاب البافيه التى تتضمنها المجموعة ( حفلة الشاى ــ الموكب ــ برفيه ) فهى جميعا لا ترقى الى مستواها ولا تستطيع أن تطاولها رغم الحوار السلس الرقيق الذى يتدفق فى جنباتها ورغم ابداع المؤلف فى اختيار اللقطات ورسم الشخصيات فكل ذلك لم ينفع المسرحيين الأولى والثانية ( حكمت المحكمة ــ والصعلوك ) فى أن تنال حظ أبى شوشة من المكانة والتقدير سواء عند أهل كفر البلابل أو عند محمود تيمور أو عند القراء والمشاهدين •

***

# العـــراق

# نازك الملائكة وشجرة القمر

# نازك الملائكة وشجرة القمر

عندما أخذت اطالع ديوان الشاعرة العراقية نازك الملائكة « شجرة القمر » تبادر الى ذهني للوهلة الأولى هذا السؤال .. ما هذا المنعطف الجديد الخطير الذى انعطفت اليه نازك وشعرها فى هذا الديوان ؟

لقد كان من سمات ومميزات دواوينها السابقة وضوح الصور الشعرية .. ووضوح الرؤية بل وبساطتها مع عمق فى المعانى وسلاسة فى الألفاظ وموسيقى

شعرية تتدفق بين حنبات قصائدها فما بالها من هـذا الديوان « شجرة القمر » يلجأ الى الرموز والأحاجى والألغاز والقصص الخالية التى يجهد القارىء نفسه فى البحث عن مدلولاتها حتى لو كانت قد وضعت يده على أول خيط وبداية الطريق كما فعلت فى مقدمة ذلك الديوان .

لكننى ما كدت أعد قراءة الديوان مرة ومرات ثم أعود الى دواوينها السابقة وخاصـة ديوانهـا الأول عاشقة الليل حتى وجدت شعر نازك لم يتغير جوهره فى شىء ، ذلك أنها تستلهم شعرها من منابع ثلاثية لا تحيد عنها : وصف الطبيعة والافتتان بها ، الغوص الى أعماق النفس البشرية وتصوير أدق خلجانها التغنى بالحياة .

واستطعت بذلك أن اخلص الى نتيجـة أراحتنى كثيرا .. ان التغير هو فى أسلوب العرض .. فى الشكل وليس فى المضمون وهو تغير الى أفضل فيه تجديد وفيه تطور ذلك أن الأسلوب القصصى فى الشعر وهو الاطار الذى أفرغت فيه نازك قصيدتها الرئيسية فى الديوان

شجرة القمر هو من أرقى أساليب الشعر المعاصر وذلك طالما لم يفقده السرد القصصي لمسة الفن وروعته وطلاوة الشعر وعذوبته وطالما ظل الشاعر بمنأى عن النثرية والتقرير .

وقصة شجرة القمر قد تكون قصة ساذجة ، بسيطة مما يحكى للأطفال فى سن الصبا وقد حكتها الشاعرة فعلا لبنت خالتها مسورة ذات ليلة من ليالى سنة ١٩٤٩ ولكنها فى جوهرها عمقة المضمون صبى صغير يفتتن بالقمر فنصب له الشباك ونصبده ويأخذه أسيرا الى كوخه حيث يحتفظ به لنفسه ويحجب ضياءه عن الناس وتثور الجماهير فى كل مكان باحثة عن القمر وتتجه الى كوخ الصبى تدق باب الكوخ فى اصرار وعناد مطالبة بالافراج عن القمر السجين فيهتدى الصبى الى فكرة دفن القمر فى أرض الكوخ ليخفيه عن أعين الجماهير الغاضبة التى تدخل الكوخ فلا تجد شيئا فتنصرف آسفة غاضبة .. لكن القمر الذى دفن فى أرض الكوخ تنبت بذرته شجرة .. ليست ككل الأشجار وثمارها ليست ككل الثمار تغار منها الأشجار

والشجيرات .. لكن الأمر لا يستمر على هذا المنوال كثيرا .. فبعد فترة طالت أم قصرت يعود القمر الى سماء الكون بأخذ مكانه فى كبد السماء ويضيء للدنيا كلهـا ...

ولنتابع بعد ذلك أبيات القصـيدة التى أفرغت فيها نازك هـذه القصة والتى تقرر اعترافا بالحق فى مقدمة الديوان أنها استلهمت فكرتهـا . دون البنـاء أو الصور أو الأساليب من قصيدة لشاعرة انجليزيـة قرأتهـا ذات يوم ونست اسـم القصـيدة والديوان والشاعرة على السواء .

تبدأ القصيدة بوصف مسرح أحـداث القصـة هكذا على قمة من جبال الشمال كساها الصنوبر .

**وغلفهـا افـق مخمـلى**
**وجـــو مغبـــر**

**وترســـو الفراشـــات**
**عند ذراها لتقضى المســاء**

**وعند ينابيعهـا تستحم**
**نجـــوم الســـماء**

ثم تنتقل الى وصف البطل وهو الغلام .

هنـاك كان يعيش غـلام ، بعيـد الخيـال
اذا جاع يأكل ضـوء النجوم ولون الجبـال
ويشرب عطر الصـنوبر والياسمين الخضل
ويملأ أفكاره من شـذى الزنبق المنفضـل
وكانت خلاصـة أحلامـه أن يصـيد القمـر
ويودعـه قفصـا من نـدى ونشـذى وزهر
وتواتى الغلام الفرصة وهو قريب من القمر
والقمـر غافـل عنـه وعمـا يدبره لـه :
وكان قريبا ولم ير صـيادنا الباسـمى
على التل فانسـاب بذرع أفق الدجى ظالمـا
.. وطوقه العاشـق الجبلى ومس جبينـه
وقبـل اهدابه الذائبـات شـذى وليونـه
واخفـاه فى كوخـه لا يمـل اليـه النظـر
أذلك حلم ؟ كيف وقد صـاد .. صاد القمر
ويبحث النـاس عن القمـر فلا يجدونـه :
ونادت صبايا الجبـال جميعا (( نريد القمر ))
فردت القمم السامقـات (( نريـد القمـر ))

وطاف الصدى بجناحيه
حـــول الجبـــال وطـــار

الى عربات النجوم وحيث
ينـــــــام النهـــــــار

أما فى الكوخ فقد كان الغلام سعيدا لضيفه الجديد.

وفى الكوخ كان الغـلام يضم الأسير الضحوك
ويمطـره بالدمـوع ويصرخ « لن يأخذوك »
وتزحف الجماهير نحو الكوخ بحثا عن القمر
.. فماذا بفعل .. ؟ !

ومرت دقـائق مثقـلات
وقـــلب الغـــــلام

تمزقـه مديـة الشـك
فى حســـرة وظـــلام

وجاء بالفأس وراح يشق
الثـرى فـى ضجـــر

ليدفن هذا الأسير الجميل
وايـــن المفـــــر ؟

وراح يودعه فى اختناق ويغسل لونه
بأدمعه ويصب على حظه ألف لعنة
وحطمت الجماهير الثائرة باب الكوخ فماذا
وجدت .. لم تجد شيئا

فلا شىء فى الكوخ غير السكون وغير الظلم
وأما الغلام فقد نام مستغرقا فى حلم
وحار الرعاة أيسرق هذا البرىء القمر ؟
ألم يخطئوا الاتهام ؟ ثم أبن القمر ؟

وتبرع الشاعرة الجماهير فى تساؤلها وتعود الى وصف حالة الغلام .. ذات صباح بشيق فنجد شيئا جديدا .

هناك كانت تقوم وتمتد فى الجو سدره
جدائلها كسيت خضرة خصبة اللون نرة
رعاها المساء وغذت شذاها شفاه القمر
وأرضها ضوؤه المختفى فى التراب العطر
واشرب أغصانها الناعمات رحيق شذاه
وصب على لونها فضة
عصرت من سناه

وانمارها .. أى لون غريب
وأى ابتكـــــــــــار
لقـد حـار فيهـا ضـياء
النجـوم وغـار النهـار
وجفـت بهـا الشجيرات
المقـــادة الجـــامده
فمنذ عصـور وانمارها
لـــم تـــزل واحـــدة
فمن أى أرض خياليـة رضعت ؟ أنى تربـة
سقتها الجمال المفضض ؟ اى ينابيع عذبـة

وتمر الأيام والسنون وينسى الناس قصـة غياب القمر ولكنه يوما ما يعود اليهم لتعود للكون بهجته ولا تفسر الشاعرة كيف كان ذلك ..

ومرت عصـور وما عـاد اهل القرى يذكرون
حيـاة الغـلام الغـريب
الرؤى العبقرى الحنـون
وحتى الحياة طوت سره
وتناســـت خطـــاه

واقمـــاره وأناشـــيده
واندفـــــاع منـــاه

وكيف أعـاد لأهل القرى
الواطـــين القمـــــر

وأطلقـه فى السـماء كما كـان دون مطر
يجوب الفضاء وينشر فيه
النـــدى والبـــرودة

وسبه ضـباب نحـدر من أمسـيات بعيدة

وتختتم الشاعرة قصيدتها أو قصتها هكذا ..

وهمســا كأصـداء نبع
تحـدر فى عمـق كهف

يؤكـــد أن الغـــلام
وقصـته حـلم صـيف

وسواء أكانت القصـة حلم صيف أم أسـطورة تناقلتها الأجيال فان القصة على أية حال تستحق العرض والدراسة والتأمل العميق الذى فى صـدق مكانهـا بين شعر نازك وبين الشعر المعاصر وكنت أود لو عرضت هنا القصيدة كاملة لولا أنها تقع فى مائة وأربعة وأربعين بيتـا .

هذه القصيده فى رأينا وبغض النظر عما أوردته الشاعرة فى مقدمة الديوان .. فالغلام رمز للأثرة الانسانية على وجه الأرض .. والقمر رمز لمعانى وقيم الحق والخير والجمال وزحف الجماهير بحثا عن القمر يدل على ان الحياة على وجه الأرض — وان طال الزمن — لا تستقيم بدون تلك القيم .. وعودة القمر الى مكانه ثانية يضىء الكون بضيائه رمز لعودة الحق الى أصحابه الشرعيين .

وثمة تساؤل يطرح نفسه فى هذا المقام الا يمكن أن يكون هذا الغلام رمزا لحاكم مستبد أراد أن يجمع بين يديه كل عناصرالخير فى البلاد ويكنزها دون رعيته .. وأفلح فى ذلك زمنا ثم دار الزمن دورته .. وعادت للرعية حقوقها كاملة .

ان القصة تحتمل هذا وأكثر منه لكن التأويل الذى أتت به الشاعرة فى مقدمة ديوانها تأويل مبسط وشاعرى فى الوقت ذاته وفى ذلك تقول الشاعرة ( ولعله لا يخفى أن الغلام فى قصيدتى رمز للشاعر أو

الفنان فهو يحب الطبيعة حبا يفوق حب الآخرين لها ويريد ان يقترب منها ويذوب فيها ليصوغ منها ألحانه وقصائده .. وتكون نورة الرعاه والصيادين رمزا للحق العام فى القمر فاذا كانوا لا يصلون الى استرجاع الأسير ، فان ذلك لا ينم الا بخدعه يرتكبها الغلام فهو يدفن القمر فى الارض ليستنبت منه شجره سامقه لا مثيل لها بين الشجر ... وما معنى ذلك ؟ معناه ان الفنان يتناول الطبيعه ويبدع منها فنه فاذا كان فى السماء قمر يملكه الوجود كله فان فى وسع الفنان الذى يحب ذلك القمر أن يصنع نماذج منه فى قصائد وصور .. وتنتهى القصيدة بأن يعيد للناس القمر العام الى الوجود ويكتفى بالأقمار التى تثمرها شجرة الشاعر ) ..

وواضح أن نازك فى هذا التأويل وذلك التحليل متأثرة بصفتها كشاعرة وفنانة..لكن الدارس أو الناقد للقصيدة من واجبه أن ينظر اليها نظرة أكثر عمقا وحيادا .. لكن ما بالنا نشغل أنفسنا بالرموز والأهداف الظاهرة والباطنة وننقل عن الصور الشعرية النادرة التى تزخر بها القصيدة مسرح القصة أضفت عليه

الشاعره جوا ساحرا وأبدعت فى وصفه فسم جبال انسال كستها أشجار الصنوبر والأفق الذى بعد وعلى البعد بلون المحمل أضاف الى اللوحة أبعادا جديدة زادت طبيعتها فتنة وجمالا تم تأتى الفراشات من بعيد لتقف على تلك القسم لا لتضيف بألوانها الزاهية بعدا جديدا الى الصورة المادية للوحة فحسب وانما لتبعث فى المسرح كله الحيوبه بأناشيد المساء .

هذا على القسم النامحة أما عند الينابيع فان صورة النجوم قد انعكست فبدت وكأنها نستحم فى تلك الينابيع الصافية .

وقد تكون الصورة الأخيرة مسنوحاة من شعر على محمود طه فى قوله ( فى شراع تسبح الأنجم انره ) من قصيدته الجندول وقد لاتكون كذلك لكنها على أية حال جاءت أجمل وأدق من صورة على محمود له كما جاءت مكملة للوحة التى رسمتها الشاعرة لمسرح الأحداث .

أما شخصية الغلام ــ بطل القصة ــ الذى ظل

يتربص بالقمر حتى استطاع أن يصطاده فقد أكدت الشاعرة بوصفها له معومات تلك الشخصيه كفنان أصيل يذوب فى الطبيعه حبا .. فهذا الغلام ليس فقط بعيد الخيال وهى سمة كل الشعراء والفنانين .. وانما هو لا تعنيه المادة فى شىء .. وغذاء الروح عنده هو أفضل غذاء فهو يلتهم جمال الطبيعة . ضوء النجوم ولون الجبال وسرابه لبس كشراب الناس انه يسرب عطر الصنوبر والياسمين .

حتى عملية أسر أو اختطاف القمر لم تنوان فيها الشاعرة عن رسم لوحة ناطقة بالحياة .. القمر ينساب فى كبد السماء يذرع الأفق حالما الى أن يأتى عاشقه وصائده فيمس جبينه مسا رقيقا ثم يقبل آهدابه ثم لا يملك مقاومة الاغراء فيأخذه معه الى كوخه لا بل اليه النظر .

وفى الكوخ أيضا حيث تدخل الجماهير الزاحفة قدمت الشاعرة لوحة معبرة جديرة بالتأمل والامعان الكوخ يحيط به السكون والظلام والغلام نائم حالم والرعاة يقفون فى حيرة وتردد يسألون أنفسهم هل مثل

هذا الغلام الصغير البرىء قادر على أن يسرق الفسر ..
ثم أين هو القمر .. ؟

أما الشجره التى نبتت من بذرة الفسر فقد أحسنت الشاعرة تصـــويرها فجدائلها مكسوة بالحضرة وسارها دات لون عريب وجميل جعل حمى النجوم تساءل عن سره فى حيرة وهى لا تدرى أن مصـــدر الشجرة هو أبوها القمر وجعل النهار ـــ الذى يسطع بضوء الشمس يغار من ضـــوئها وجمالها ... أما الشجيرات المفلدة الجامدة فمن حقها طبعا أن تجن لأنها رأت بينها شجرة ليست كسائر الشجر لا أغصانا ولا ثمرا ولا عطرا ...

تلك القصيدة شجرة القمر هى قســـة انتاج نازك الشعرى كله ..

# تـــونس

# مع هند عزوز فى الدرب الطويل

# جولة مع الأديبة التونسية
# هند عزوز فى الدرب الطويل

من يتجول مع الأديبة التونسية هند عزوز فى الدرب الطويل يقوم لاريب برحلة شائقة بتعرف خلالها على جوانب شتى من الحياة الاجتماعية فى تونس فى النصف الثانى من القرن العشرين من خلال رؤية نسائية أحيانا ورؤية محايدة أحيانا أخرى وبأسلوب يتسم بالصراحة التى قد تصل الى حد الوعظ المباشر تارة وبأسلوب متمكن يكتسى غلالة من الفن الرفيع تارة أخرى •

وقبل أن نجوس خلال الديار ــ ديار المجتمع

التونسي المعاصر وبسعني أدق خلال الدرب الطويل للأديبة هند عزوز لا يفوتني أن أشير الى أن هذه المجموعة طبعت أربع مرات في فترات متقاربة مما يعني أنها تمثل لونا من ألوان الأدب التونسي الحديث وتعد لبنة من لبنات القصة القصيرة في مرحلة النهضة الأدبية التي تعيشها تونس منذ ١٩٥٥ حتى الآن .

أولى قصص المجموعة « على طرف نهيض » تروى قصة زوجين حديثي العهد بالزواج خالد وسليمة .. الزوج ينتمي الى الطبقة المتوسطة محدودة الدخل لكنه يفرض الشعر ويهوى الأدب ويعيش في عالم أبعد ما يكون عن المادبات وعلى النقيض من ذلك زوجه سليمة التي تتوق لحياة البذخ والثراء وكان طبيعيا أن تسود حياتهما الخلافات من وقت لآخر وعندما يجلس الاثنان في حديقة منزلهما الصغير يتحدث الزوج عن أزهار الحديقة التي يفتتن بجمالها لكن الزوجة لا تأبه لهذا الجمال وتقول له ان الزهور ستكون أجمل اذا وضعت في اناء زهور فاخر .

وتأتي ليلة عيد ميلاد سليمة وتقيم الأسرة حفلا

بسيطا دعى اليه بعض الأقارب والأصدقاء وقدم خالد لزوجته هديتين .. الأولى باقة من زهور البنفسج والثانية قصيدة من بنات أفكاره صفق لها الحاضرون وفى اليوم التالى نصح الزوجة بما كسته فى صدرها من ضيق .. كيف يهتم زوجها بالسيد قاسم ولا يولى عنايته بشخص أكثر ثراء وأوفر جاها هو السيد مصطفى ثم أين ما قدمه لها هدية من الهدايا التى قدمها اليها أهلوها .. وينتهى الحديث الى نجار وأصبح كل منهما يحس بأن عش الزوجية مهدد بالانهيار .

لم يكن غريبا فى ظل الجو النفسى المتوتر أن يخلو خالد الى نفسه يتأمل الموقف ويعيد حساباته ويمعن النظر فى أسلوبه فى الحياة .. أخذ يفكر فى البحث عن الثروة ليرضى زوجته ويوفر لها ما تريده من حلى وأشياء ثمينة وعقد العزم على سلوك ذلك السبيل الذى يؤدى الى الثراء .

وعندما شغل خالد بمشاريعه الطموحة للبحث عن المال وجدت سليمة نفسها فى فراغ ولم يكن غريبا أن تملأ ذلك الفراغ بمطالعة الكتب واستخلاص

العبر .. جلست ساسه ذات لباه بطالع سير عظماء الرجال من العلماء ورجال السياسه الذين خلدهم التاريخ وما حفلت به حياتهم من مواقف تمسكوا فيها بالقيم والمثل العليا والتضحيه ونكران الذات .. وقالت لنفسها .. خالد محق فى تفكيره .. هو يريدنى أن أحاق معه فى سماء العبقرية.. وكنت كدجاجة لاتستطيع الطيران .. ما أحقرنى وما أنبلك يا زوجى .. الحمد لله الذى كشف عن بصيرتى وأصبحت أؤمن بالقيم .

كان الوقت متأخرا الحاديه عشره مساء وزوجها لم يحضر بعد .. كان مجتمعا مع بعض رجال الأعمال ومشغولا بتأسيس الشركة التى ستدر المال .. وأخيرا حضر .. سليمة تغمغم .. نعيم الروح يخلد الروح .. ونعيم الجسد يفنى مع الجسد .. الحمد لله الذى وحد فكرنا كما كنا نؤمن .. قاطعها خالد .. لا لم تكونى مخطئة أنا لم أكن أفهم الحياة .. وأخذ خالد يزف لزوجته بشرى تأسيس الشركة التى رصدت لها المبالغ الكبيرة .. ويحتدم النقاش وينطوى كل منهما على نفسه .

وفى الغد تذهب سليمه الى احدى المنتديات الثقافية لتستمع الى محاضرة عن شهيرات النساء بينما انطلق خالد الى سباق الخيل ليراهن على حصان ..

أول ما يسترعى الانتباه بالنسبة لهذه القصة أن المؤلفة لجأت الى أسلوب السرد المتتالى للأحداث رغم كثرة تلك الأحداث وطول الفترة الزمنية وهو أمر يسعفها الى حد ما مع الاتجاه الحديث فى بناء القصة القصيرة حيث تعنى المؤلفة أكثر ما تعنى بالتركيز على الحدث الرئيسى فى القصة فى اطار فترة زمنية محدودة ولا توجد ثمة ما يحول بين المؤلف وبين الاستعانة بأحداث فترة زمنية سابقة طالت أو قصرت من خلال ما يسمى بالفلاش باك . وباستثناء هذه الملحوظة فالقصة جيدة البناء أحادت فيها المؤلفة تصوير تيارات التحول التى عصفت بالعالم بأسره خلال النصف الثانى من القرن العشرين حيث أخذت الماديات تزحف على حساب الروحانيات والقيم والمثل العليا ... وأجمل ما فى القصة انها لم تسلم بذلك التحول على اطلاقه بل جعلته يتأرجح بين الزوجين وأعادت التوازن فى نهاية

القصة بين المـادبات والرومانيات لكن على حساب الزوج المسكين الذى كان فى بادىء الأمر ضحيـة لازوجة النواقة الى الثراء وأسبغت عليها المؤلفـه فى نهاية القصة كل صفات النبل والخلق الكريم فى تحبز ظاهر لبنات جنسها والتسبز هنا فى رأيى لبس فيه ما يعاب على المؤلفـة وانما على العكس يحمد لها لأنه ينطوى على دعوة الى اهتمام المرأة بالقيم والمثل العليا وطرح الزيف والمظـاهر والجرى وراء الثراء السريع وهى كلها آفات المجتمع العربى المعاصر بأسره وليس المجتمع التونسى وحده •

وبجانب ذلك فالقصـة تعبر عن مضمون انسانى قديم قدم الأزل •• بتمثل فى هـذه الحكمة •• ان مشكلتنا نحن البشر أننا عنـدما نجد لا نستطيع •• وعندما نستطيع لا نجد •• هذه المفارقة الانسانية التى تلازم كل المجتمعـات وتزداد وضـوحا مع التطور الاجتماعى وتشابك العلاقات الاجتماعية •• استطاعت الأديبـة هند عزوز أن تلمسها لمسا رقيقا من خـلال

عرض هـذه الصورة الاجتماعية التى تنبض بالحيوية ولا تخلو من التشويق •

وأخيرا فان لغة الكاتبة لغة عربية سليمة وتتفاوت بين اللغه الجزلة واللغه المبسطة لكنها تنبىء عن معايشة الأدب العربى قديمه وحديثه •

وتنتقل من الصراع السافر بين خالد وسلسه الى صراع آخر مستتر قد يكون أشد عنفا يدور فى أعماق احدى الأمهات كما تصوره الكاتبة فى قصة « عواطف أم » •• الأم تلح على ابنها عزيز أن يتزوج لتحقق أعز أمنية لها فى الحياة عزيز يقبل الفكرة ويتفق مع والدته على الزواج من سناء •• وتبقى الأم مع العروسين تعيش معهما تحت سقف واحد •• وتمضى الأيام والأسابيع والشهور وتحس الأم انها أصبحت غريبة عن المنزل وأن الزوجة قد استولت على قلب الابن وظفرت بعواطفه •• ؛ •• فى الوقت الذى شعرت فيه سناء أن هذا البيت الذى تعيش فيه مع زوجها ووالدته ليس هو المملكة الصغيرة التى منت النفس بها ••

انها تريد أن تكون المسئوله عن هـذا المنزل .. وربه بيت بمعنى الكلمه لا أن نعيش فى نظـام لا دخل لها فيه وهيىء لها أن أم عزيز تحتكر كل عواطفه .. وكان طبيعيا أن تنولد الخـلافات وتتطور .. وقررت الأم الانفصال عن ابنها وزوجته رغم معارضـة ابنها الذى أذعن فى خانمة المطاف وتغادر الأم المنزل الى منزل آخر حيث تعيش وحيدة .

ورزق عزيز بولد بهى الطلعه وأحس بسـعادة غامرة وقال فى غمرة الفرحة : من يطلب منه شيئا يعطه اياه .. وتساءلت الأم والدة عزيز هل يعدها بذلك وما أن أجاب بالايجاب مؤكدا الوعد حتى قال له : احتفظ بوعدك .. الطلب سأخبرك به فيما بعد .

وسمى الولد عادلا واستمر الافراح أسـبوعا كاملا وبعد ثمانية أشهر أرسلت الأم الى ابنها رسـالة ( تحياتى وقبلاتى لعادل .. وبعد فاننى منذ ثمانيـة أشهر وأنـا أعد الأيام شهورا والشهور سـنوات هل تعلم لمـاذا ؟ .. اننى قررت أن أقدم لك طلبى الذى

وعدتنى بانجازه من ثمانية أشهر .. أنا معسرة ومسكنة بطلبى .. اننى اطلب منك شيئا عزيزا عليك .. قد قتلتنى الوحدة وأضنانى الانتظار .. اننى اطلب منك أن تهبنى ابنك..ابنك عادل..هو الذى أطلبه منك.. لا تضطرب أنا جدته قبل كل شىء .. ان اعطيتنى طفلك سيرزقك الله ولدا سواه .. أما أنا .. الا تستطيع ان تفعل شيئا فى سبيل أم بأعز ما يملكه انسان .. انى محرومة .. بحثت عن وحدتى راضيه سعيا وراء سعادته الزوجية .. أما سناء هل لها على لسانى .. لا تحزن .. لم أرد الا الخير ) ..

وفرغ عزيز من مطالعة الرسالة مضطربا .. وقال لنفسه .. أجل يا أماه حان وقت التضحية .. وفهمت الآن السر الحقيقى لهجرك لنا .. لكن الويل كل الويل لسناء التى عبثت بعواطف أم مكلومة دون علم منى .

رفع صوته منادبا سناء بلهجة هستيرية .. أحس بركانا على وشك الانفجار فى أعماقه .. لاحت سناء .. لم يستطع أن يقول شيئا .

فى هذه اللحظه وصلت الأم فجاه وسلمت عليهم وأخبرها عزيز أنه قرأ الرسالة الأم تقول ليتك لم تفعل .. ليتنى وصلت قبل الساعه بلحظات .. ستناء لا تفهم شيئا مما يقولانه .. صوت عادل يتعالى بالبكاء فى حجرة مجاورة .

الأم تسير الى ابنها قد عدلت عن كل ما جاء فى الرساله وطلبت اخفاء أمرها عن ستناء .. وطلبت من ابنها ألا يظن بها الظنون ويلتمس لها العذر .. لانها تسير بفعل طاقة عنيفة لا تستطيع لها ردا .. انها عواطف الأم المكلومه نحو ابنها الوحيد « ان العاطفة التى حملتها بعيدا هى ذاتها التى أرجعتها لكى يعيش الجميع سويا تحت سقف واحد فى بيت ينير جنباته هذا الملاك الذى يربطهم برباط الأبوة والأمومة والجدودة .

والحق الذى لا مراء فيه أن موضوع القصة ليس فيه جديد وقد طرق من قبل مرات ومرات لكن الجديد فى هذه القصة القدرة البارعة على تصوير أدق خلجات النفس البشرية والغوص الى أعماق أعماق الأم فى حالات القرب والبعد والرضى والغضب فى كافة المراحل

التى مرت بها الأحداث .. مرحلة ما قبل زواج عزيز ومرحلة بعد الزواج وقبل الانجاب والمرحلة التالية لمولد الطفل عادل .. وهـذا الصراع الذى دار فى أعماقها .. وقد جاءت الأحداث منطقيه تماما مع طبيعة مشاعر الأم وعواطفها رغم ما قد يبدو فى الظاهر من تناقض .

الأم لم تستطع الصمود طويلا أمام العاطفة الجارفة التى كانت تلح عليها للاستئثار بمحبة الابن واهتمامه ولم تكن تملك فى هـذه المرحلة سوى الابتعاد ـ على كره منها ـ عن منزل الابن وزوجته .. لكن الابتعاد عن الابن لم يطفىء نار العاطفة المتقدة وانما زادها اشتعالا .. وأخذت تمنى النفس وتعد الأيام والليالى حتى يأتى الى الدنيا الطفل الوليد وتجد فى قربه العزاء كل العزاء عن الابتعاد عن والده .. وجاء الحل السعيد أو النهاية السعيدة فى انضمام الشمل .. شمل الأسرة كلها تحت سقف واحد .

واذا كانت المهارة فى التحليل ورسم شخصية الأم قد رفعا من قدر القصة رغم بساطة الموضوع فان فكرة الرسالة والتحول الطارىء فى موقف الأم بعد

ارسالها قد بعث فى أوصال القصة كثيرا من الدفء والحيوية بعد ما شابها من رتابة فى الصفحات الأولى .

واذا سلمنا بفكرة وجود أدب نسائى متميز تعبر فيه الأديبة أو الشاعرة عن عواطف ومشاعر الأنثى تعبيرا خاصا يفوق تعبير الأديب أو الشاعر عن هذه العواطف والمشاعر فان هذه القصة « عواطف أم » تعتبر نموذجا طيبا للأدب النسائى فى مجال القصة القصيرة فى نسال أفريقيا .

ومن الأسره التى تنجب فيها الزوجة الوليد الأول دون ما نية ابطاء تنقل الى أسرة أخرى لم يسعدها الحظ بهذه الهبة الالهية طوال فترة الحياة الزوجية كما هو الحال فى قصة « زبيدة » .

تزوجت زبيدة فى منتصف العقد الثانى من عمرها من زوج ميسور الحال واعترفت هى وأقاربها من خير الزوج .. ومرت تسع سنوات كأنها حلم .. أحست بعدها بالانقباض والتفاهة .. بل وبالنقص .. انها لم تنجب أولادا ونداء الأمومة يصرخ فى كيانها .

وبينما كانت هذه الأسرة الميسورة الحال تعانى من عدم الانجاب .. كانت هناك أسرة رقيقه الحال تعيس على مقربه منها تعانى من كثرة الأولاد .. وضيق الرزق حتى ان فاطمه الجارة الولود عقدت العزم على التخلص من طفلها العاشر الذى كان لايزال فى احشائها جنينا وقرب اسقاط الجنين .. وتلففت زبيدة هذا الخبط وعرضت على فاطمه صفقة ما لبثت أن وافقت عليها .. تحتفظ فاطمة بالجنين فى أحشائها حتى تحين ساعة الولادة ثم تتبناه زبيدة وزوجها مدى الحياة وظل الأمر سرا على الجميع .. وجاء الوليد المنتظر سما اسموها وحيدة .

وتمر الأيام ويتقدم لطلب يد وحيدة شاب ترى اسمه عادل .. وجاء يوم عقد القران .. ودون ما سابق انذار .. قلب فاطمة لزبيدة ظهر المجن وهددت بافشاء سر وحيدة ( لغابة فى نفسها ) على تعبير المؤلفة .. ومر أسبوع وزبيدة فى وجوم دائم وصمت رهيب حتى حارت وحيدة فى شأنها .

لم تطق زبيدة صبرا وهى مهددة من فاطمة فى

كل لحظة بافشاء السر فاغتنمت هى فرصة موافيه وأسرت الى عادل بالحقيقة كاملة .. وبدلا من أن يثور عادل كما توقعت زبيدة ابتسم قائلا لها .. انت لم تمضى الى بسر .. كنت أعلم كل ذلك .. ووحيدة أيضا تعلمه وطلبت اخفاء علمها ولما صارحته وحيدة بالحقيقة تضاعف حبه واخلاصه لها .. وصمم على عقد القران .. وقال بطمئن زبدة المشدوهة .. لا تأبهى لعاطفه وزوجيا وأنا اعرف كيف اتعامل مع أصحاب العضلات الجاربة من هذا النوع .. ارتاحى يا خالة .. اذا كان لك بنت فقط فى الماضى .. فقد أصبح لك الآن ولد وبنت .

هذه القصة تسير فى ذات اتجاه القصة السابقة « عواطف أم » .. دقة تصوير مشاعر الأنثى وعلى الأخص عواطف الأمومة حتى لو كانت أمومة مصطنعة غير حقيقية .. والنهاية السعيدة التى تأتى فى ختام القصة بعد أن تتعقد الأمور وتتلبد الغيوم ... كما أنها تتفق مع القصة الأولى « على طرفى نقيض » فى التعبير عن المضمون الانسانى .. ان مشكلتنا نحن البشر أننا

عندما نجد لا نستطيع وعندما نستطيع لا نجد .. كما تتفق معها أيضا فى كثرة الأحداث المتنالية فى فترات زمنية مختلفة .

غير أن أهم ما يستوقف النظر بالنسبة لهذه القصة بالذات هو تأثر الأديبة هند عزوز بالأدب الفرنسى وعلى الأخص بقصص جى دى موباسان .

موضوع قصه « زبيدة » يذكرنى للوهله الأولى بقصة موباسان « بين الحقول » التى روى فيها قصة زوجين ثريين حرما من نعمة الانجاب أوقفا العربة الفاخرة التى كانا يستقلانها ونزلا بين الحقول حيث منزلين متواضعين لبعض الفلاحين البسطاء وتدور مساومة وبدور حوار وتقبل احدى الأسرتين ما رفضته الأخرى وتتم الصفقة وتسلمت السيدة الثرية على الفور طفلا كان يجلس مع أبويه قرب المنزل وتعهدت بتبنيه والانفاق عليه مع تقديم معونة دائمة لأسرته وتنطلق العربة بالزوجين وقد اكتملت سعادتهما بصحبة هذا الطفل الجميل .. ومرت الأيام وكبر الطفل وأصبح شابا مكتمل الرجولة ويأتى لزيارة أسرته وتحتفل

الأسرة بهذه الزيارة احتفالا كبيرا وتتميز الأسرة الأخرى غيظا ويثور ابنها لأن أهله رفضوا أن يكون هو هذا الطفل المتبنى .. سعيد الحظ ومن فرط ضيق هذا الابن الآخر يفتح باب المنزل ويغادره الى المجهول .

واضح أن هند عزوز قد تأثرت بجوهر القصة دون التفاصيل كما أن تأثرها بجى دى موباسان لا يقف عند حد الموضوع بل هو يتعداه الى الأسلوب والبناء القصصى بصفة عامة .. هذه المفاجأة التى جاءت فى نهاية القصة على لسان عادل العرس الثرى .. وذلك الصراع بين قوى الخير متمثلة فى زبيدة وزوجها وابنتهما المتبناه وحدة من جهة وبين قوى الشر متمثلة فى فاطمة وزوجها من جهة أخرى هذه المفاجأة وذلك الصراع اللذان يعدان من ركائز بناء تلك القصة .. هما من أبرز سمات أدب جى دى موباسان وخاصة فى مجال القصة القصيرة .

وخلال تجوالنا مع هند عزوز فى الدرب الطويل نلتقى بنماذج بشرية مختلفة تمر بظروف نفسية

أو اجتماعية خاصة .. مثل آمال فى قصة « الخائفة » وآمال هذه زوجة وأم لعديد من الأولاد وموظفة باحدى المصالح الحكومية تنابها الهواجس والمخاوف وتتصور ان هناك من يتربص بها لقتلها وتعيش من وقت لآخر لحظات من الرعب تفضل فيها الموت على الحياة .. وحار فى أمرها الطبيب النفسى وبقيت آمال فى المصحة أربعين يوما .. وقبل أن تغادر المصحة دعا الطبيب زوجها للقاء منفرد صارحه فيه بحالة زوجته وكاشفه بأسباب الأزمة أو المحنة النفسية التى مرت بها وقال الطبيب لو كنت أنا مكانها لخلت الضباب دخان المدافع والزهور المبعثرة ألغاما متفجرة ولاضطربت أعصابى كما اضطربت أعصابها .

ويضع الطبيب يده على مكامن العلة .. الزوجة أم لستة أطفال كبيرهم فى عامه العاشر وصغيرهم فى شهره السادس وهى موظفة فى قسم الحسابات بادارة البريد وسيدة بيت تشرف على شئونه وتقوم بأهم أعمائه .. ان هى قامت بكل هذه المجهودات باختيارها وحماس منها .. فان الجسم لا يحتمل ذلك .. الجسم

يطلب الراحه والأعصاب تحتاج الى الهدوء والرفبه.. واذا شاهدت فيلما بوليسيا وهى مجهدة فان اعصابها لم تعد تحتمل أى شيء .. ويسأل الزوج عن العلاج .. ويرد عليه الطبيب بان السبيل الى ذلك بدايته اضعاف ذاكرتها مؤقتا حتى تبهت الصور التى رسمها الخوف وجسمها الى أن تمثل لها حقيقة .. وفى نفس الوقت تغذى حسمها بفيتامينات تقوى أعصاب المخ وتعالج الضعف العام .

ويضيف الطبيب .. واذا سمحت الآن سفاء كاملا فالأجدر بها بجنب الحمل والولادة اذ لا يخفى ما تجره هذه الفترة من اضطرابات نفسية يخشى أن تعود على أثرها الى حالتها السابقه ثم ان مسارتها على العمل شيء له أهميته فى نظرى .. وهى أم لستة أطفال .. فهل ستكون مطمئنة حقا عندما تكون فى عملها ان المرأة التى يصبح لها من الأولاد كثرة لا يمكن أن يكون مكانها غير المنزل وهنا تتدخل الزوج فى الحديث.. ان اقتصادياتنا لا تسمح لنا بالاقتصار على دخل واحد مع أنها ذات ثقافة ومقدرة .

ويرد الطبيب .. وهذا سبب من الأسباب التى من أجلها دعت الحكومة الى الاقتصاد فى النسل أو ما يسمى بتحديد العائلة .. فمن صالح العائلة اقتصاديا ومن صالح البلاد اجتماعيا أن نشارك المرأة فى الأعمال الخارجية حتى تفيد وتستفيد من ثقافتها ومقدرتها .. وينصح الطبيب فى خاتمه المطاف بان تتجنب الزوجه ولو الى حين مشاهدة الأفلام البوليسية وبذلك نقضى على بذور الهواجس والأفكار السيئة التى نعيش فى أعماقها .

هذه الصورة القصصية ولا أقول القصة أقرب ما تكون الى التحقيق الصحفى أو التقرير العلمى أو خطبة اجتماعية يضرب فيها الخطيب الأمثال على أهمية تحديد النسل ويؤكد على حق المرأة المتعلمة فى تقلد الوظائف العامة ويحذر من مخاطر الافراط فى مشاهدة الأفلام البوليسية .. وهى المحاور الثلاثة التى دارت حولها هذه الصورة القصصية .

واذا تجاوزنا عن عدم اكتمال البناء القصصى فاننا لا نلبث أن نصطدم بالأسلوب النثرى التقريرى المباشر

الذى يصطبغ بالوعظ والارشاد الصريحين وهذا الأسلوب يسلب القصة ـ أى قصه ـ أعز مقوماتها لمسة الفن وروعة التعبير ولا يظننى أحد اننى أجادل فى حق الأديب فى اعتناق رأى معين أو الترويج لفكرة ما ، وانما كل ذلك رهن بان تأتى الدعوة الى الرأى أو الفكرة من خلال نسيج القصة أو المسرحية ومجريات أحداثها دون ما نية افتعال أو حشو ودون ترديد لعبارات الوعظ والارشاد .. وذلك ما عند اله الكاتب النرويجى هنريك ابسن الذى روج لفكره تحرر المرأة مما كان يكبلها به المجتمع النرويجى فى عصره من قيود وأغلال .. وذلك من خلال مسرحيتى « بيت الدمية » و « السيدة البحرية » والمسرحيتان خالستان تماما من أى تعبير انشائى أو تقريرى أو حتى عبارة من عبارات النصح والارشاد .. ومع ذلك تعدان قمة فى البناء المسرحى المتكامل ولازالتا تدرسان حتى الآن فى كثير من جامعات العالم باعتبارهما نموذجين للكتابة المسرحية الجيدة .

وبجانب القصص التى تصور مواقف ومشكلات

اجتماعية تحوى المجموعه بعض الدروس ذات الطابع الانسانى ومن ذلك قصة « الحمامتان » وبطل هـذه القصة نبيل صبى صغير فى مراحل دراسته الأولى أوتى حسا مرهفا جعله يتعاطف مع الطيور التى تهم تربيتها فى المنزل مثل الدجـاج والحمام .. وعندما كسر جناح دجاجة أصابه الهلع وحسم على عرضها على طبيب يداوى الجرح ويعالج الكسر .. وكان تـقديد الولع بزوج من الحمام يقوم على تربيته وقد شغله الاهتمـام بهذا الزوج من الحمام عن دروسه .. وتتآمر الأم والأب على التخلص من زوج الحمام هـذا .. لكن دون أن يصدم الصغير فى مشاعره ويأخذ الوالد ابنه فى جولة خارج المنزل وبعده وبمنيه بما يثلج صـدره وعندما يعود الاثنان الى المنزل بعد حين يشير الأب الى الأم أن الخطة قد نجحت فيطمئن بالها وتفهم ان الأب قد اقنعه بذبح الحمامتين .. ويفتح نبيل الثلاجة فجـأة ليتناول بعض المـاء ويكاد يصعق اذ يجد الحمامتين مذبوحتين .. وتواجهه والدته .. أو لست موافقـا على ذبحهما .. ويجىء رد نبيل متخاذلا كان يود توديع

الحمامتين .. تقبيلهما على الأقل قبل أن نذبحها .. ثم انحنى يقبل الحمامتين لحما طريا .

ونضيف المؤلفة الى ذلك .. أن نبيلا لم يمرض ولم يصـــدم بل ثابر على الدرس ونجح فى الامتحـــان وأصبح اليوم رجلا فعلا يعرف كيف يعدل عن ميوله ويقابل المكاره بصدر رحب وصبر جميل .

هذه اللمسات الانسانية الرقيقة التى تمثلت فى جو الألفة بين الصبى الصغير والحمامتين والدجاجـة من قبل وشده الحرص عليها والتعلق بها رفعت كثيرا من قدر القصـــة كما أن القصـــة اتسمت بحسن العرض والتحليل . واجادة رسم الشخصيات .. لكن ومعذرة الأديبة هند عزوز ــ كنت آود لو أنها حذفت تماما الجزء الأخير من القصـــة الذى تحدثت فيه عن النجـــاح فى الامتحان وتحول الصبى نبيل الى رجل يقارع الحياه ويتحدى للمكاره .

هذا الجزء الأخير فى رأينا لم يضف جديدا الى القصـــة بل هو حشو انتقص من قدرها ففى هـــذا

الجزء انزلقت المؤلفة الى العبارات الخطابية التقريرية التي تسم بروح الوعظ والارشاد الصريحين كما أنها زحمت القصة بأحداث وأضافت فترات زمنية تتجافى مع طلبعة القصة القصيرة على النسو الذى ألمحنا اليه من قبل .

وأيا كان الرأى فى مستويات القصص التى زخرت بها مجموعة الدرب الطويل فان الذى لا مراء فيه ان عند عروز هى بنت عربى خالص نشأ وترعرع فى أرض عربيـة هى تونس الخضراء وأنها قد ارتوت من معين الثقافة العربية أكثر بكثير مما ارتوت من معين الثقافة الغربية وانها صاحبة قلم جاد وشريف يستحق التقدير والاحترام .

# الجزائـــر

# مفدى زكريا
# واللهب المقدس

# الشعر العربى فى شمال افريقيا
# مفـدى زكريـا
# واللهب المقـدس

الشاعر مفدى زكريا لقبه الأدبى « ابن تومرت » ولقبه النضـالى « شاعر الثورة الجزائريه » ولد فى الجزائر فى شهر أبريل ١٩١٣ وتلقى علومه فى مدارس الجزائر ثم معهد الزيتونة بتونس وقد شارك فى معارك تحرير الجزائر ودخل السجن خمس مرات متوالية الى أن فر منه فى فبراير ١٩٥٩ .

وقد اهدى الشاعر ديوانه « اللهب المقدس » الى الدقيقة الواحدة من فاتح نوفمبر ( تشرين الثانى ) ١٩٥٤ الى أول أسبوع جزائرية حركها الأزل وحفظ بها القدر

الرايض على زناد البعث لتنطلق الفذيفة المسحورة الأولى فتسعر اللهب المقدس في دروب بلاده الخالدة وأحراشها السكرى ورمالها العطشى وجبالها العضبى .

قسم الشاعر ديوانه الى خمسه فصول من أعماق بربروس ، سنابيح الخلود ، نار ونور ، نبؤات شاعر ، من وحي الشرق .

الفصل الأول « من أعماق بربروس » هو أكثر فصول الديوان عنايه بالثورة الجزائريه وأحداثها ويكاد يكون هو المعنى بعنوان « اللهب المقدس » .

وبربروس هذا هو السجن الكبير الذى أعده المستعمرون للوطنيين من أبناء البلاد تنفذ فيه أحكام السجن والاعدام وتجرى تحت سقفه أبشع صور التعذيب وقد أحسنت الحكومة الوطنية اذ أحالته بعد الاستقلال الى متحف تاريخى يروى مرحلة من مراحل كفاح الشعب الجزائرى .

من أعماق بربروس انطلق الشاعر في الهزيع الأخير من ليل ١٨ يوليو سنة ١٩٥٥ وهو مكبل بالقيود ينشد

قصيدة « الذبيح الصاعد » أثناء تنفيذ حكم الاعدام فى أول شهيد دشن المقصلة المرحوم « أحمد زيان » بدأ الشاعر بتصوير الشهيد وهو يرتقى درجات المقصلة :

قام يختال كالمسيح وئيدا
يتهادى بشوان يتلو النشيدا

باسم الثغر كالملائك أو كالطفل
يستقبل الصباح الجديدا

شامخا انفه جلالا وتيها
رافعا رأسه يناجى الخلودا

رافلا فى خلاخل زهرت تدلا
من لحنها الفضاء البعيدا

ويعنى الشاعر بتسجيل الكلمات الاخيرة للبطل الشهيد التى يوجه الحديث فيها الى جلاديه والى الموت ويعبر فيها عن عقيدته التى لا تتزعزع فى أن استشهاده حياة لبلاده .

اشنقونى فلست اخشى حبالا
واصلبونى فلست اخشى حديدا

وامثل سافرا محياك جلا
دى ولا تلثم فلست حقودا

واقض يا موت فى ما انت قـاض
انـا راض ان عاش شعبى سعيدا

انـا ان مت فالجزائـر تحيـا
حـرة مسـتقلة ان نبيـدا

ويعنى الشـاعر بابراز الحق والعدل فى معركة التحرير فيتساءل :

أمن العدل صاحب الدار يعرى
وغريب يحتل قصرا مشـيدا

ويجوع ابنهـا فيعدم قوتـا
وينال الدخيـل عيشا رغيدا

وفى نهاية القصيدة يعود الشاعر الى ذكر الشهيد ( زبان ) فيخاطبه ورفاقه مؤكدا لهم أن استشهادهم قد جعل المجاهدين أقوى عزما وأكثر اصرارا على بلوغ الغاية وانهم يعاهدونهم على الجهاد حتى النصر ويختم قصيدته هكذا :

يا « زبانا » ويا رفاق « زبانا »
عشتم كالوجود دهـرا مديدا

كل من فى البلاد اضحى « زبانا »
وتمنى بان يموت « شهيدا »

**أنتم يا رفـاق قربـان شـعب**
**كنتم البعث فيـه والتجديدا**

**فاقبلوها ابتهالة صنع الرشاش**
**أوزانهـا فصـارت قصـــيدا**

**واستريحوا الى جـوار كريم**
**واطمئنوا فاننـا لن نحيـدا**

وكنت أود أن اعرض القصيدة كاملة لولا انهـا تقع فى ٦٨ بيتا وهى تعد فى مجموعها من أجود قصائد الديوان ولعل مرد ذلك فى المرتبة الأولى الى أن المؤلف أجاد اختيار اللقطات الانسانيـة التى جعلهـا محورا لقصيدته . ان اللحظة التى يقف فيهـا الانسـان على مشارف الأبدية تودع الحـاة لحظة رهيبة لاشـك ويزيد من رهبتها وجلالها فى هـذه اللقطة قسوة الظلم الذى يتعرض معه صاحب الحق لابشع أنواع العقوبات التى تنزلها الانسان بأخيه الانسان عقوبة الموت .

ويزيد من رهبتها وجلالها أيضا الغاية التى جـاد من أجلها الشهيد بروحه ومظـاهر الايمان والعظمـة النفسية التى لازمته حتى آخر لحظة من لحظات حياته .

ذلك بالاضافة الى وجود الشاعر وحيدا فى زنزانة فى ذات السجن على مقربة من مكان المأساة وفى حالة نفسية مهيأة للانفعال بالحدث •

كل ذلك أثرى القصيدة وأمدها بكثير من مقومات النجاح •

الصدق الفنى ، قوة الانفعال ، البراعة فى التصوير والعرض •

وأنه ولئن كان الشاعر قد تشعبت به السبل وهو يتحدث عن ثورة الجزائر ثم عاد فى النهاية الى موضوع القصيدة الأصلى وهو الحديث عن الشهيد زيان الا أن ذلك لم يسلب القصيدة وحدتها الفنية لأن أبيات القصيدة تشدها الى بعضها البعض وحدة عاطفية ووجدانية ، ذلك بالاضافة الى أن أجزاء القصيدة تعد فى نهاية الأمر بمثابة فروع لموضوع واحد هو تضحية الشعب الجزائرى وكفاحه فى سبيل حريته واستقلاله وكان الحديث عن استشهاد أحمد زيان بمثابة المدخل الى الحديث عن كفاح الشعب بأسره •

لكن والحق يقال : القصيدة لا تسير على مستوى فنى واحد ذلك أن الشاعر بعد أن أجاد تصوير موقف الشهيد وعواطفه وانفعالاته انزلق الى الأسلوب الانشائى ، بل وعندما استنفد طاقته الفنية فى تصوير اللوحات الأولى فى القصيدة لم يجد حرجا فى أن يستلهم من قصيدة شهيرة لحافظ ابراهيم بعض المعانى وحتى بعض الألفاظ .

**أمن العدل صاحب الدار يعرى**
**وغريب يحتل قصرا مشيدا**

هذا البيت لا يعدو أن يكون ترديدا للمعانى التى ترددت فى قصيدة حافظ ( مصر تتحدث عن نفسها ) وعلى الأخص هذا البيت :

**أمن العدل انهم بردون الماء**
**صفوا وان يكدر وردى ..**

وان كان بيت حافظ يتميز بالرمز الذى أتاح له الشمول فى المعنى فحافظ رمز فى البيت الى صفو الحياة وتكديرها بصفو النبع وتكديره .. وصفو الحياة يشمل كافة ألوان المتعة والسعادة والتكدير يشمل كافة

ألوان الحرمان والشقاء فى حين أن مفدى زكريا قصر المعنى فى البيت على المقارنة بين العرى والعيش فى القصر المشـــيد.

والقصيدة التالية فى الديوان « زنزانة العذاب رقم ٧٣ » لها بدورها قصة فقد زج بالشاعر فى زنزانة مظلمة بسجن بربروس اثر ان أسلمته زبانية العـــذاب للسجانين يوم ٢٨ أبريـــل ( نيسان ١٩٥٥ ) فهاجت فى أعماقه المواجد وانطلق ينشد فى ظلام الزنزانة :

**سجـــان عندى مفتوح ومنغلق**
**يا سجن بابك ام شدت به الحلق**

**أم السياط بها الجـــلاد يلهبنى**
**أم خازن النار يكوينى فاصطفق**

**والحوض حوض وان شتى منابعه**
**القى الى القعر ام أسقى فانشرق**

**سرى عظيم فلا التعذيب يسمح لى**
**نطقا ورب ضعاف دون ذا نطقوا**

والبيت الأول من الممكن أن يرمز الى معنى كبير لا أدرى هل استهدفه الشاعر أم لم يهدف اليه ذلك أن

الجزائر كلها فى ذلك الوقت سنة ١٩٥٥ كانت فى قبضة الاستعمار بمثابة السجن الكبير فيسوى عند الوطنى الأبى إن يغلق عليه باب السجن الصغير أم يخرج منه الى السجن الكبير •

والأبيات التى جاءت بعد ذلك تصور جوانب متعددة من التعذيب الوحشى الذى كان يتعرض له الأحرار فى السجون ومع ذلك فلم يصبهم وهن ولا ضعف ولم يستطع الجلادون أن ينتزعوا منه أسرار المعركة •• ويعود الى مخاطبة السجن ثانية :

**ياسجن.. ما أنت لاخشاك تعرفنى**
**من بحذق البحر لايحذق به الغرق**

**انى بلوتك فى ضيق وفى سعة**
**وذقت كاسك لا حقد ولا حنق**

**أنام ملء عيونى غبطة ورضى**
**على صياصيك لا هم ولا قلق**

وهذه الأبيات تدل بوضوح على مدى وفاء الشاعر وتمسكه بتقاليد الشعر العربى القديم فهو فى البيت الأول استعمل ضربا من ضروب البلاغة هو

الاطناب شمل الشطر الثانى بأكمله ( من يحذق البحر لا يحدق به الغرق ) •

وفى البيت الثانى استعمل صربا من ضروب البديع هو الطباق ( ضيق وسعة ) •

أما البيت الثالث فقد بلغ وفاؤه فيه القمة لأبى الطيب المتنبى وهو القائل :

**انام ملء جفونى عن شـواردها**
**ويسهر الخلق جراهـا ويختصم**

وقد خصص الشاعر الفصـل الثانى من الديوان « تسابيح الخلود » للأناشيد الوطنيـة التى صاغهـا بمناسبة حركة التحرير ومن ذلك النشيد الرسمى للثورة الجزائرية « فاشهدوا » الذى نظمـه بسجن بربروس بتاريخ ٢٥ أبريل ١٩٥٥ ويقول فى مطلعه :

**قسـما بالنـازلات المـاحقات**
**والدمـاء الزاكيات الدافقـات**
**والبنود اللامعـات الخافقـات**
**فى الجبال الشامخات الشاهقات**

**نحن نرنـا فحيـاه أو ممـات**

**وعقدنا العزم أن تحيـا الجزائر**

**فاشـــهدوا**

والذى يبين من خـلال الأناشـيد التى ضمنها المؤلف هذا الفصل أنه كان يتابع أحداث ثورة التحرير بوجدانه وقلمـه وأنه قدم للثورة من وراء القضـبان خلاصة فنه وفكره ليؤدى دوره فى الهاب المشاعر وشحذ العزائم والصمود فى المعركة حتى النصر •

والأناشيد بهذا الوضـع تعد جزءا لا يتجزأ من تاريخ الثورة الجزائرية •

أما من الناحية الفنية فهى تدخل فى عداد قصـائد المناسبات •• لكنها ليست على أية حال مناسبة تخص فردا بعينه أو أسرة بذاتها ولكنها تخص شعبا بأسره ولعل هـذا هو الذى جعل لتلك القصائد والأناشيد قيمة تبقى بها على مر الأيام رغم انتهاء حرب التحرير •

هـذا عن المضمون أما عن الأسـلوب فقد عمد الشاعر فى هذه القصائد الى التعبير المباشر ولجـأ الى

الأسلوب الحماسى الخطـابى واستخدم الألفاظ ذات الجرس الخاص التى تلائم الانشاد الجماعى وكان فى هـذا منطقيا مع نفسه لأن هـذه القصـائد لم تكتب أساسا لتنشر على النـاس فى صحيفة أو كتـاب وانما فاضت بها مشاعر الشاعر وجرى بها قلمه لتكون أناشيد جماعية يرددها الأحرار فى الغابات والوديان وفوق قمم الجبال وعند السفوح وفى كل مكان كان جزءا من أرض المعركة .

وقد نضمن الفصل الثالث « نور ونار » مجموعة قصائد موضوعة تدور حول كفاح الشعب الجزائرى أثناء المعـركة .

ومن أجود القصائد التى جاءت فى هذا الفصل قصيدة أنـا ثائر التى نظمها الشاعر أثنـاء فراره من السجن فى طريقـه الى المغرب سـنة ١٩٥٠ نقول فى مطلعهـا :

**فى الحنايـا**
**وسـواد الليـل قـاتم**
**مالت الألوان سـكرى**

ثمـــلات

أودعتهـا مهجـة الأقـــدار سرا

فى الزوايـــا

بين ســـهران ونـائم

ونجـوم الليـل حيرى

حالمـــات

ضارعات بث فيها الغيب امـرا

والمنايـــا

بين مظـلوم وظـالم

مثقـلات ضقن صـبرا

جانمـــات

ظللن يرقبن متى يطلعن فجـرا

قام كالمـارد .. يرتـاد المنايـا

وتهـــادى

يمـــلأ العـــالم بشرى

ونحدى النصر لا يخشى الرزايـا

وتمـــادى

يفمـر الاكـوان عطـــرا

ومضى يبنى على هـام الضحايا

وننـــادى

يلهـم التـــاريخ ســـفرا

هذه القصيدة أو بالأحرى هـذه الأبيات منهـا تستحق منا أن نقف أمامها قليلا نتأملها ونتأمل مواطن الجمال منها .

لقد رمز الشاعر الى الحالة التى سبقت قيام الثورة الجزائرية بالليل الفاتم والى الانطلاقة الأولى للثورة باشراقة الفجر .. لكنه لم يعمد الى صياغة ذلك فى أسلوب خطابى حماسى وانما عمد الى أسلوب أقرب ما يكون الى الأسلوب القصصى أفرغ فيه كل ما أوحت اليه به الثورة والليل والفرار من معـان .. فجـاءت صوره الشعرية وتعبيراته على السواء .. ذات حظ وافر من الاجادة والأصالة الفنية .

لقد اجاد تصوير الليل .. السواد قاتم والنجوم

حيرى .. والناس فى أحشائه فريقان سهران ونائم .. ومظلوم وظالم .

وقد حفلت الأبيات بعديد من الصور المبتكرة .

الاكوان نميل وهى سكرى فتودع مهجة الأقدار سرا من الأسرار والغيب يبعث فى النجوم الحالمات الضارعات أمرا جللا .

والمنايا وقد ضقن بالظلم يجسن فى انتظار هذا السر ودلك الأمر .. اشراقة الفجر وقيام الثورة .

وقد تميزت تعبيرات الشاعر وألفاظه بالجزاله والرقة وحلاوة الجرس : الحنايا ، مالت الاكوان ، مهجه الأقدار ، حيرى ، حالمات ، ضارعات ، تهادى ، بشرى ، يغمر الاكوان ، يلهم التاريخ .

هذه القصيدة تقف جنبا الى جنب مع قصيدة « الذبيح الصاعد » التى صدر بها الشاعر ديوانه ولا أغالى اذا قلت انها تعد فى نظرنا قمة انتاج مفدى زكريا فى هذا الديوان .. ومن يدرى فقد تكون قمه انتاجه الشعرى كله !!

والفصل الرابع من الديوان بعنوان « نبؤات شاعر » وهذا الفصل يحوى ثلاث قصائد فقط أولاها « من يشترى الخلد ان الله بائعـــه » .. وقد ألقاها الشاعر بمناسبة تدشين دار ابن باديس للطلبة الجزائريين التابعين لجمعية العلماء المسلمين الجزائريين بقسطنطينه فى ٢٥ أكتوبر ( تشرين الأول ) ١٩٥٣ أى قبل اندلاع « اللهب المقدس » بما يقرب من عام يقول فيها :

**يا شاعر الخلد حق اليوم تخليد**
**وخالد الشعر فم أين الأناشـــيد**

**صفها على المحفل الجبار قافية**
**تسمع لها من فم الأجيال نردد**

**وانزل بدارات (سرسا) مطرقا أدبا**
**فبين أضلعها آباؤنـا الصـيد**

**وامش الهوينا فمى احشائها أمم**
**وفى جوانحهـا أسـد معامـيد**

ولعل القارىء يلمس ما فى هذه القصيدة من فتور فى العاطفـــة وفقر فى الصـــور الشـــعرية وتكلف فى

الدمير وتارجح الشاعر بين معانى أبى العلاء فى قصيده « غير مجد فى ملتى واعتقادى » وصياغه المتنبى فى قصيده « عيد بأية حال عدت يا عيد » .

وقد بدأ الشاعر الفصل الخامس «من وحى السرق» بقصيدة القاها فى مهرجان الشعر العربى الثالث الذى أقامه المجلس الأعلى للفنون والآداب فى ٢٣ سبتمبر ( أيلول ) ١٩٦١ بعنوان رسالة الشعر فى الدنيا مقدسه وختمه بقصيدة مطوله بعنوان « فلسطين على الصليب » وهى حوار بين الشاعر وفلسطين والعرب يبدأها هكذا :

**اناديك يا القضية العالية**
**وبين فواجعها الدارسة**

**وادعوك بين أزيز الدعوس**
**وبين جماجمها الجاثية**

**واذكر جرحك فى حربنا**
**وفى ثورة المضرب القانية**

وبعد أن يطول بالشاعر الحديث ترد عليه فلسطين :

ايـا شـاعر العـرب ذكرننى
وهجـت جراحـانى الداميـه

الى أن تقول عن قضيتها :

فلو كان لى أمـر تدبيرهـا
لمـا احترت فى أمرها ثانيـه

وكنت الجـزائر فى زحفهـا
وحققت ـ بالشـعب ـ آماليـه

والهبتهـا هـوى ارض الحمى
وحـررت بالشـعب اوطانيـه

وغسـلت عـارا على جبهتى
وأعـليت بالهـامه الحانيـه

ومن الحوار الذى أورده على لسان العرب هـذه الأبيـات :

فلسـطين لا تيـأسى اننى
سـأصلح فى الشرق اخطائيه

لئن خنت فيمـا مضى انـه
بوبخنى ـ اليـوم ـ وجدانيه

الى أن يقول :

**أنـا الشعب والشـعب لا ينثنى**
**أنـا الحر أن حـلت الداهيـه**

ويختتم النـاعر قصيدته والديوان كله بهـذين البيتين على لسانه :

**فـان تنصروا الله ينصركم**
**وينجـز امانيـكم الفاليـه**

**ولـن يخـلف الله ميعـاده**
**ولا ريـب سـاعتنا آتيـه**

ورغم الروح الخطابيـة التى تشيع فى جنبـات القصيدة فان الشاعر استطاع أن يبعث فيهـا الدفء والحياة بهذا الأسلوب الحوارى الذى اتاح له الفرصة لكى يعرض قضية فلسطين من زواياها المختلفه دون أن يتسرب الملل • الى القارىء أو السامع •

ولم ينس الشاعر أن يؤكد ـ ومعركة تحرير الجزائر على أشدها ـ أن الطريق الذى سارت فيه الجزائر هو

الطريق الوحيد المؤدى الى النصر وانه لابد للعرب من سلوكه اذا ما أرادوا تحرير فلسطين من غاصبيها .

وقد بدت آثار ثقافة الشاعر الدينية فى معهد الزيتونة واضحة فى هذه القصيدة فيما اقتبسه من القرآن الكريم على النحو الذى رأيناه فى الأبيات التى عرضناها وعلى الأخص فى قوله الصرصر العاتية ـ فان تنصروا الله ينصركم ـ لن يخلف الله ميعاده .

وبعد فهذا هو « مفدى زكريا » أول شاعر جزائرى قدم الأمة العربية ديوانا مطبوعا من الشعر العربى .

وهذا هو اللهب المقدس تسجل حافل للجليل والهام من أحداث الثورة الجزائرية وقد يختلف الرأى حول مستويات الكتاب الفنية وتشتد الجدل حول بعض القصائد بالذات لكن الذى لا مراء فيه ولا خلاف حوله هو أن هذا الديوان يعد لبنة غالية وعزيزة فى صرح الشعر العربى فى المغرب والمشرق على السواء .

وألف تحية لشعراء الجزائر ،،

# المغـرب

# محمد الصباغ
# وفوارة الظمأ

# أضواء على أدب المغرب العربى
# الحس المرهف فى « فوارة الظمأ »

من الأمور المألوفة فى المجال الأدبى أن يصدر من وقت لآخر كتاب يضم مجموعة مقالات تعالج موضوعا واحدا أو قضية معينة بذاتها .. أما أن يضم كتاب واحد مقالات مختلفة تتناول موضوعات متباينة فأمر لا يجرؤ عليه الا القليل من الأدباء ، ذلك أن مثل هذا الكتاب تتطلب مقدرة خاصة على اختيار الموضوع وعرضه وصياغته بحيث يكون لكل مقال قيمة ذاتية تبقى على الدهر ولا يؤثر فيها مرور الأيام والليالى ومن قبيل ذلك على سبيل المثال وليس الحصر فيض خاطر

أحمـــد أمين ووحى قـلم الرافعى وعبرات ونظـرات المنفلوطى ووحى ورسالة الزيات .

لذلك كنت مشفقا على الأديب المغربى الأستاذ محمد الصباغ عندما أخـذت أطالع كتابـه « فوارة الظمأ » . ووجدته يضم ما يقرب من خمسين مقـالا كتبت فى أوقات متباعدة وتعالج موضوعات مختلفـة كنت مشفقا عليه أن يكون قد اكتفى بتضمين كتابـه بعض مشاهـداته البومبة العابرة بأسـلوب يقرب من أسلوب الصحف البومية لكننى ما كدت أغوص بين دفتى الكتـاب حتى وجدتنى أمام فنـان صادق الحس بارع اللفتات يكتب بوجدانه ومشاعره ويفلسف كل شىء .. الحياة والموت .. الربيع والخريف .. الجمال والسهول .. ويصـوغ كل ذلك فى أسـلوب عربى خالص ويتسم بالرشاقة والجزالة معا .

وفى مقال « خلود » وهو أول مقال فى المجموعة يعبر المؤلف صادقا عن شعور الأديب الذى يعتز برسالته فى الحياة وتهفو نفسه الى أعز ما تعطيه الحياة للأديب الخـلود .

( كل ما فى الوجـود شعرى .. حتى النسـمة المترقرقة على خدود الأغصـان ، حتى أشـباح الوهم السارية فى مشاعر الظلمة الواهنة ، حتى النأمة التائهة فى مزالق الصمت الرهيب •

عاريا أرى ما فى الوجود وعاريا ألمسه .. فالزمن القديم والحديث فى ريشتى ألوان وأصباغ أرسم بهـا لوحة الخلود ، والمكان البعد والقرب عجينة من طين أنفخ فيها فتتحرك بالحيـاة ، والمطلق العميق والمدى السحيق زجاجتان أرى من خلالهما نطفة الحياة تفرخ وتلد وتتزاوج •

برقة خيال : أخلق عالمـا يمور بالسحر والحمـام وصغار العصافير •

ويقظة حس : أحصد النجوم من مزارع الضوء وأختلس الأحلام من مضاجع الصبايا ومراقص الأعراس مشبدا لكم منهـا قصـورا تروحون وتغدون وأحيانا تطيشون منها الى فراغ الزمن ) •

ويستشعر الأديب المرهف الحس ان الخلود الذى

يحلم به لكتاباته لن يشـــهده فى حياته فيصـــدح وهو يعتصره الألم ( غدا سيهوى جسدى من شرفة النجوم • فيتكسر على الأرض شـظايا عطر وسر ســؤال مبهم وستظل العوالم التى اكتشفتها لكم خالدة ، وستظلون أنتم تحيون فى عرصاتها الغيبية كلما فاح الزهر •• ولمع نجم وغرد طير وألقى سؤال •• ) •

وبقدر ما يعشق الأديب الحياة ويتغنى بها بقدر ما يعز عليه فراقها فلا غرو آن يعاود أديبنا الحديث عن الموت فى مقال آخر بعنوان « هكذا اخترت منيتى » •

( ••• وسنغرب الشمس على وآنـا تحت ملاءات التراب جذرا من الجذور وسيطلع الصبر كما كان يطلع على ، وعلى النـاس بالأمس ضاحكا لامعا مستبشرا وسيبقى نسيم الفجر ناشرا من جيب ضـوئه النـدى والفراشات على الحقول والروابى بسخاء وسيظل طريقى الذى أسلكه من بيتى الى مكتبى فى الصباح والمساء فى زحمة من الناس والدواب والسيارات ، وستبقى أمى وأمى وحدها ستبقى منتظرة على عتبة البيت••عودتى•

وفجأة بدون مقاومة منى ولا اعتراض ولا احتجاج وبدون ما سبب سأختفى مكفنا بالوحدة والسكينة ومنسيا بمناديل الورد والفل وأطفال النجوم ونبات الجداول .. وفى الحال سأتحول الى نبأ فى جريدة والى عبارات نعى فى رسالة والى حديث يدور بين أصدقائى فى الأسابيع الأولى كلما اجتمعوا .. ) .

ويتصور المؤلف أن الحياة لابد أن ستعوض بلاده عنه بطفل جميل يقضى أعوامه الأولى فى الغابه ثم يتحول عنها الى المدينة يسير على دربه ويحمل رسالته .

( فى ذلك اليوم وفى الساعة الخامسة صباحا منه . سيلقى الفجر مع الندى فى حدائق بلادى طفلا ستكسوه الزهور بأكمامها وسيطعمه البنفسج من ذوب خدوده ، سيعيش فى الغاب مدة طويلة تائها فى الوهاد وشعاب السهول والأوديه ثم يدخل المدينة منتصرا .

احفظوا هذا التاريخ ، احفظوه وترقبوه ، وانتظروا ولادة هذا الطفل . هكذا اخترت يوم موتى: وهكذا اخترت منيتى فلقحتها بولادة هذا الطفل .

اخترتهـا من بين جميـع الأشـكال والألـوان .. والأوضـاع ، ومن عديد الظروف وكتبت بها وصـية الموت والحياة ) .

وأمام سـتار الغيب يقف المؤلف حائـرا مشفقا مترددا يود لو استطاع أن يمد يديه فيزيح تلك الحجب والأستار ويروى ظمأه الى سره العميق فيخاطبه فى مقال بعنوان ( افتح لى بابك أيها الغيب ) .

( بخيالى حفرت الموج والضوء والنجم وصفاء الندى وعروب المنتهى فى آحداب الشفق كغروب طول الصفصافة السامقة فى مجرى النسيم . لقد مللت المسير وتورمت رجـلاى من بعد الطريق وليس لى دليـل ولا قطرة زيت فى سراجى ولا نبع ولا رفيق ولا حبيب ولا خبر عن هـذه المجاهل والقفار والسـؤال على لسانى شعلة تحرقنى والمفاتيح فى يمناى تقلقنى وتعذبنى وتزرع الصدأ فى عينى .

أين أنـا أجبنى أيها الطريق ؟ .. بسفابحى فتحت أبوابـا ونوافذ وسراديب وشـموقا وسطوحا وسراين أجسام مختلفة مفتشا عن ذلك المجهول صائحا :

أين أنت أيها السر الكبير العميق ؟ .

أرنى وجهك ايها الغيب . انى فى حيرتى ودهولى اتضرع واسـول اليك حنانك وعطفك .. أحس بك وبحطوانك فى مجاهل كيانى ناذل فواكه قلبى وتشرب من غدير دمى وتستريح على لحاف لحمى وفى دفء عـروقى تلمس باصـابعى وترى بعينى وتحس باحساسى .. )

ويختم المؤلف المقال بهذه الكلمات :

( آمالك انـا ، فافتح لى بابك أيها الغيب ، فلقد مللت المسير وجف حلقى وليست لى فواره أرتوى منها سوى فواره عرقى واعياءى ودهنى وظمئى الشـديد الى سرك أيها الرفيق العميد ، أيها الغيب العميق . )

ويهتز الأديب الصباغ لجمال الطبيعه فى بلاده وهى بشهادة السياح من أجمل بلاد العالم وفى تطوان حيث قضى أيام صباه وجانبا من شبابه يتنقل بين الجبـال مخاطبا اياها فى مقال « جبال تطوان » :

فى الصباح أنت أمواج فل ورغى وفى الظهـيرة

براكين تقذف جمر القرنفل وفى المساء قوافل من جمال تسير متجهه نحو الغروب وهى تجتر أعشاب النور .
كم من مرة وقفت أمام قوافلك وهى تتحرك متئدة مزنه صامتة صابرة ومن حركاتها تتخذ أشكالا وصورا هى عايه فى الروعة والجمال .. )

ويستمر فى الحديث الى أن يقول ( فطوبى لك يا جبال بلادى وأنت فى بيتى .. أنـام كل ليلة على أغرودة علاك وجمالك مستعرضا على ترنيمه اسطوانه تاريخك الذى هو تاريخى وتاريخ تطوان بل وتاريخ الوجـود ومستمعا الى سـكينتك الرماديـة العاليـة وهمسـاتك المسـتنة وأحـاديث كهوفك وأغـوارك وما تسلقك وجنح حولك وخطـا فوقـك وبنى بيوته وأعشاشه فيك من : طيور ونسور وحيوانات وحشرات فأتخيلك تارة وأنت منكمشة على نفسك خائفـة من البروق والرعود التى تجرى فوقك وتارة أخرى تمرحين وتداعبين الحجال والأرانب وأنت فى نشوة عارمة معها ومع باقى ناسك .

براكين تقذف جمر القرنفل وفى المساء قوافل من جمال تسير متجهه نحو الغروب وهى تجتر أعشاب النور .
كم من مرة وقفت أمام قوافلك وهى تتحرك متئدة مزنه صامتة صابرة ومن حركاتها تتخذ أشكالا وصورا هى عايه فى الروعة والجمال .. )

ويستمر فى الحديث الى أن يقول ( فطوبى لك يا جبال بلادى وأنت فى بيتى .. أنـام كل ليلة على أغرودة علاك وجمالك مستعرضا على ترنيمه اسطوانه تاريخك الذى هو تاريخى وتاريخ تطوان بل وتاريخ الوجـود ومستمعا الى سـكينتك الرماديـة العاليـة وهمسـاتك المسـتنة وأحـاديث كهوفك وأغـوارك وما تسلقك وجنح حولك وخطـا فوقـك وبنى بيوته وأعشاشه فيك من : طيور ونسور وحيوانات وحشرات فأتخيلك تارة وأنت منكمشة على نفسك خائفـة من البروق والرعود التى تجرى فوقك وتارة أخرى تمرحين وتداعبين الحجال والأرانب وأنت فى نشوة عارمة معها ومع باقى ناسك .

وكل ما فى بستانى يهش اليك ويطرب حتى سياجه وسع حدوده فشمل الطبيعة كلها الى تهنز اليك محفلة بقدومك .

وفى غمره النسوه بلقاء الربيع يعلن ( من ينسهد ولادة الربيع ولو مرة فى حياته يعش فى ربيع دائم وفى شباب دائم لا ندركه التشيخوخه .

وانى أدعوكم جميعا الى قمم الجبال فى السنه المقبلة لتشاهدوا ولادة الربيع ولا تسألونى كيف سيولد ) .

ويدور الزمن دورته ويأتى الصيف ومن بعده « الخريف » يحمل بشائر الشتاء وبقلب الشاعر وبريشة الفنان يستقبله المؤلف .

( وشى وشى بالغمام يا ريشة الفضاء سمائى .. وهبى يا رياح وخاصرى الأغصان والأعشاب وارقصى مع الأشجار وانسجى يا شمس على الحقول كفنها ودعى القمر يكتب على ضريحها :

« ماتت شهيدة الجمال وضحية الربيع ، ومن يمت بداء الربيع يولد كل ربيع » .

وأنت يا أمطار قد طالت عطلتك فى المصايف على السواطىء وفى قمم الجبال فهلا عدت الى غدرانك وأنهرك وسواقيك تحمل لها أوتارها وبضاره شجوها ؟ .. وهل خلعت على نفسك حلة السراب التى كنت تكتسين بها فى هجير الصيف وقيظه ورجعت الى بذورك وأعناش ترابك أنسبت وقد كان رشاشك على موعد مع سقوط الأوراق ؟ .

هل هى الأشجار تذهب الحقول وتوشى ساسعات الربى والمزارع بمناديل أوراقها .. )

وكما دعا الناس ليشهدوا ولادة الربيع دعاهم ليخرجوا من مساكنهم ليستقبلوا الخريف ( اخرجوا من مساكنكم أيها الناس وافتحوا أبوابها ونوافذها وشبابيكها لهوج الرياح لتعصف بأوراق تنوشها وزخرفتها اكاذبة ومراياها الخادعة المنافقة وأسرتها

ووسائدها ذات الوايا المبينة والشهوات الزائفة وموائدها المرتفعة بالجشع والنهم .

افتحوها على مصراعيها للرياح لتطوح بأوراقها المريضة وتجنح بها مع أوراق هذا الخريف الى دون رجعة . اخرجوا وسارعوا الى مطهر الرياح وافتحوا لها صدوركم واعرضوا عليها أحسادكم كيما تسقط أوراقكم الذابلة .

اخرجوا ولا تتأخروا لئلا يدخل عليكم فصل الشتاء وأجسامكم مارالت تحمل أوراقها المريضة الصفراء ) .

وفى الكتاب حديث عن بعض الأدباء والشعرا المعروفين فى العالم مثل الشاعر اليونانى بالماس والكاتب الروسى انطون تشيكوف والشاعر الأسبانى خوان رامون خيمنث الذى فاز بجائزة نوبل ١٩٥٦ والموسيقار شوبان وتجوين دو الشاعر الفينامى المتوفى سنة ١٨٢٠ والشاعر العربى ابلبا أبو ماضى .. ولكنه ليس حديث الناقد الدارس ولا المؤرخ المدقق وانما

حديث الفنان ينبع من القلب ويتجه الى القلب مجتازا أسوار النقد وحدود الدرس الى آفاق رحبة من التأمل .

ومن حديثه عن بالماس بمناسبة الذكرى المئوية لمولده ( كل شيء على أتم الاستعداد لاستقبالك أسرابا وأسرابا من حمائم واقفة على بياض أجنحتها تلقط بمناقيرها حبات الزمن ودقائقه منظرة ساعة قدومك لتجنح الى موكبك وتظلله ببياض هديلها وأنت راكب على غزال تعبر الألحان والأحلام والطيوب وأعرض الألوان وأفراح الأنغام ونجوى البساتين قادما من زمن لا يقاس بالأيام والشهور ومن بلاد لا تحدها الأسوار وبحار في موقعها ظن الظن .

بلاد هي في النجمة اذا تلألأت وفي بال الدالية اذا تبرعمت بالفرح وفي قبضة النسيم على خصر السنابل في المراقص الشقراء .

هي في بوح الوتر ونوح الوله هي في جريان الدمعة واشراقة البسمة .

يتحركون أمامنا ومازالت الحياة بصراعها الدائم تحركهم على مشيئتها •

غريبا عن جميع الأجناس والأوطان كان • ومن حدودها ألقى بأصابعه على زوايا الأرض الخمس فوطن فيها اسمه •

من معدن الرخام كانت عظامه واصلابه ومن مد البحر كانت حياته ومن ذوبان الشهد فى الخلايا كان مماته •

لذلك أكدت لكم أنكم لو حفرتم على جمجمته لعثرتم فى تجاويفها على خلية تقطر بالشهد والنحل من حولها فى عرس مع شموع الربيع الملونة ) •

ويتحدث المؤلف عن الشاعر ايليا أبو ماضى فيقول عنه انه ( شمعة الأرز الذى اشعلته الحياة نورا حادا فولج مخ الحياة وشرايينها المبثوثة فى حدس الفن متطلعا الى كنهها وخباياها متعرفا على أشواقها وأحلامها مفتحا حواسنا بشرارته لرؤية ما فار حوله من أسرار بنغم نلمس فيه قلبه وقلوبنا أيضا مع حنين يخلق

تلك هى البلاد التى رفعنها على كل البلدان وحصنتها بالأبيض المنيع فى مناهات الظن هأنتذا على بعد خمسة أحلام وحلاوة من فجر .

أحس بخطوات الغزال كنقر الأفق على حبل الصباح وانت تنشد أشعارك وتعيدها فيزقزق البياض فى الرخام وتحلم أغصان الدفلى انها عساليج الياسمين وتغنى الطواويس للمرة الأولى فى حياتها وتنثر ألوانها حدائق وأقواس قزح .

وبتحدث عن تشيكوف أيضا بمناسبة الذكرى المئوية لمولده فعجب من الذين يقولون انه ولد فى ١٧ من يناير عام ١٨٦٠ وأنه عاش ستة وخمسين عاما ( .. خطأ تقولون هذا وتعتمدون عليه فى دراساتكم لهذا الكاتب الذى عاش قبل هذا التاريخ بقرون وقرون وسكن أمصارا وبلدانا غريبة عنى وعنكم وخبر سكانها وأحوالهم و نفذ الى مشاعرهم وعواطفهم واهوائهم وميولهم كما عاصر أشخاصا لبسوا من دم ولا لحم وبعث الى الحياة أقواما من طينة العدم ما زالوا

فينا رغبة مداعبة الأطفال والغزلان ، واحساس يجعلنا نرى سراديب أجسامنا مضيئة كأجسام النجوم وتفاؤل بالحياة يبعث فينا نشوة الرجوع من حيث جئنا لنولد ولادة جديدة ) .

ويختم الحديث عنه بهذه الكلمات ( فلبعد التراب الى التراب ولبق الوهج المستعصى على الزمن مضيئا دروب الحياة وفوارتها ـ ولتظل ابتسامته مشرقة على مبسم الحزين ) .

والكتاب أقرب ما يكون الى النسر المنثور وهو في مجموعه تسوده طابع التأمل .. المؤلف لا يقبل من الحياة ظاهرها وانما يغوص الى أعماقها بحثا عن كنهها وأسرارها .. وهو في رحلته هذه جريا وراء الأسرار ينظر الى كل ما يصادفه نظرة المتفرج الى رواية مسرحية شائقة عجيبة الأحداث . يجهد نفسه في تحليل شخصياتها ومواقفها .

المؤلف ذو حس مرهف وقد أورثه هذا الحس المرهف نبرة حزن لا تفارقه وهو يتحدث عن نفسه

وعن الطبيعة وعن البشر وعن كل ما يزخر به الوجود . وشدة الاحساس بعنصر المأساة فى الحياة هو الخيط الذى يشد معظم مقالات الكتاب هذا الاحساس يبدو ظاهرا واضحا عندما يتحدث عن الموت والخلود وأستار الغيب والأدباء والشعراء الذين رحلوا عن هذا العالم وبستتر أحيانا وراء الألفاظ العذبة والصور الجميلة عندما يتحدث عن الطبيعه .. لكن القارىء يستطيع أن يلمح فى سهولة ويسر من بين ثنايا الألفاظ والصور روح فنان تغنى بالحياة وأعطاها كل شىء ولم تعطه الا « فوارة الظمأ » .

والذى يبدو واضحا من ثنايا الكتاب ان هناك عدة عوامل أثرت فى فكر المؤلف وأسلوبه .

العامل الأول تأثره بفكر شعراء المهجر وخاصة الشاعر ايليا أبو ماضى ـ الذى لم يكتم اعجابه به ـ مما أدى الى أن يشيع فى الكتاب نبرة التأمل التى أشرنا اليها ومحاولة الاهتداء الى فلسفة لرحلة الحياة .. فلسفة يحتاج اليها المفكر والشاعر والأديب

وتكون خير عزاء لهم ويخفف فى الوقت ذاته ما يصحب هذه الرحلة من آلام وأحزان .

العامل الثانى تأثره بالبيئة فجمال الطبيعة النادر فى المغرب هزه من الأعماق وجعله يعشق الطبيعة فى كل صورها عشقا صادقا تستوى فى ذلك قمم الجبال والسفوح .. الحقول والوديان .. الصباح والمساء .. الربيع والخريف .. الصيف والشتاء .. كل ما فى الطبيعة بأسر قلبه .. ويدفعه دفعا الى الامساك بالقلم والتعبير عن خلجات نفسه .

العامل الثالث هو تأثره بالأسلوب العربى الرصين فى مرحلة بداية التجديد فى الأدب العربى ـ ان صح هذا التعبير ـ فى النصف الأول من القرن العشرين وخاصة أسلوب الرافعى والمنفلوطى وهذا التأثر يبدو واضحا فى حلاوة اللفظ وجمال العبارة وطلاوة السرد لكن دون تعلق بالمحسنات اللفظية أو البديعة .

والقيمة الأدبية لهذا الكتاب تكمن فى أنه يجمع بين خيال الشاعر المرهف الحس ونبض الفنان الصادق

واسلوب الأديب الممكن وأنه يقدم عصير ثقافات متعددة فى لغة عربية جزلة وسهلة وسليمة •

واذا كان هناك ما يؤخذ على الكتاب فهو قصر المقالات وكثرتها فى وقت واحد ولو عنى المؤلف بان يوفى كل موضوع حقه من التعمق والتأمل والدراسة وحذف بعض الخواطر الشاردة التى لا ترقى الى مستوى الكتاب مثل يوميات حب التى أهداها الى ل•م•م اذن لجاء الكتاب على صورة أكثر روعة • وأخيرا فاننى أتمنى لو يصرف المؤلف جهده أو بعض جهده الى كتابة القصة فان من يملك مثل هذا القلب الذكى والحس المرهف والخال الخصب والقدرة على التعبير جدير لو أخلص لهذا الفن بأن يكون من طليعة كتاب القصة فى العالم العربى •

# فهـــرس


| | الصفحة |
|---|---|
| **مصـــر** | ٥ |
| محمود سمور والمسرحية المصـــرية | ٧ |
| **العـــراق** | ٥١ |
| بارك الملائكة وسجرة العمر | ٥٣ |
| **تـــونس** | ٦٩ |
| مع محمد عزور الدرب الطويل | ٧١ |
| **الجزائـــر** | ٩٥ |
| معدى زكريا والليب المقدس | ٩٧ |
| **المغـــرب** | ١١٩ |
| محمد الصـــباغ وعوارة الطعام | ١٢١ |

١٤١

# مكتبة الأسرة

بسعر رمزى خمسون قرشاً

بمناسبة

مهرجان القراءة للجميع ١٩٩٨

• إن الشباب هم حملة لواء الغد، وهم الذين سيجابهون تحديات المستقبل ولا سبيل لهم إلا بالتسلح بالثقافة والمعرفة، وهذه السلسلة من «مكتبة الأسرة» موجهة للشباب وقد حرصنا فى الاختيار على تنوع العناوين لتقديم مكتبة للشباب فى السياسة والاقتصاد والعلوم والفكر والفنون .. هذه سلسلة تعنى بتثقيف الشباب فى كل المجالات

«اللجنة العليا لمهرجان القراءة للجميع»

مطابع
الهيئة المصرية العامة للكتاب

To: www.al-mostafa.com